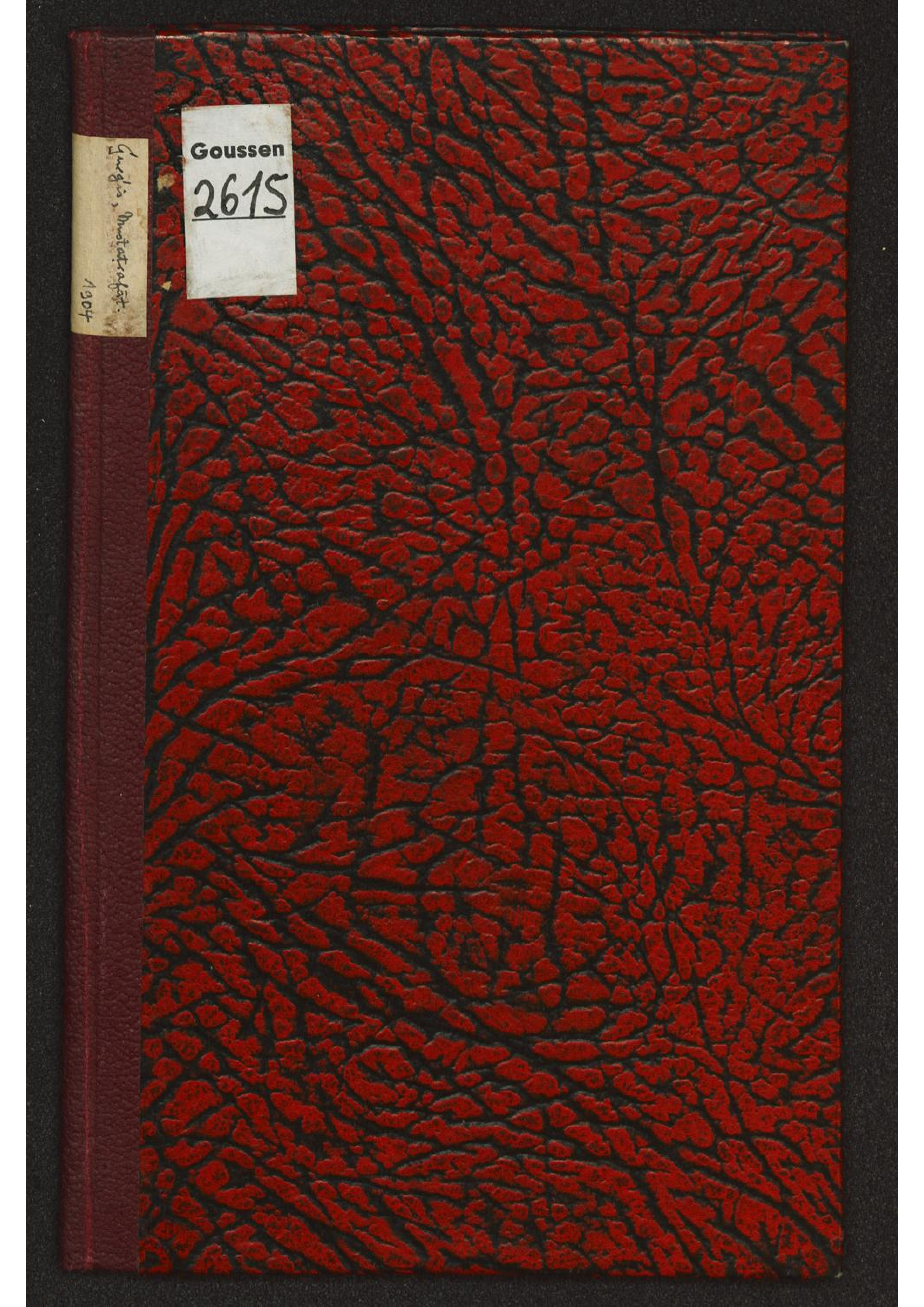
al- Mustaṭrafāt fī hayāt as-sayid Ǧirmānūs Farḥāt

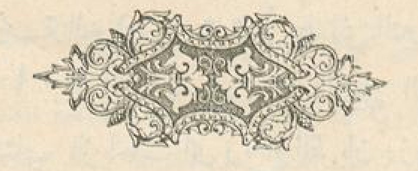
Ibn-Faransīs, Ǧirǧis

Bairūt, 1904


Goussen
2615

ذوي الاطلاع ان يوافوني بما يعرفونهُ لهُ من الاخبار والآثار * وأؤمل ان لا يقابلوا سؤلي بالصدّ والإعراض كما فعلوا يوم اعلنتُ الامر مدَّة ستة اشهر في جريدة المصباح الاغر . لِمَا ان في ذلك خدمة جُلَّى في جنب مَن وقف حياتهُ كلها في خدمة الدين والعلم والوطن . واني اهدي سلفًا من اسعفني بالمراد شكرًا جزيلًا ينتشر طيبهُ على آخر الدهر

والى هنا انتهى ما شئت ايداعهُ من محاسن المستطرفات في حياة السيد جرمانوس فرحات فلا برح موهوبًا رحمةً ورضوانًا ما جزى الله المحسنين احسانًا



* في مكتبتنا الشرقيَّة كثير من تآليف الطيّب الذكر جرمانوس فرحات والبعض منها لم يذكرهُ حضرة الكاتب كتعريب « شرح ارحمني يا الله » لاحد الآباء الدومنيكيين وغير ذلك ممَّا نسردهُ في مقالتنا عن مخطوطات مكتبتنا الشرقية ان شاء الله ل . ش

منها ما في بعضها من التطويل = ٨٨ ترتيب خدمة القداس الشريف في ثلاثة اقسام: الاول فيما يخص رتبة قداس الاسقف. الثاني فيما يخص خدمة القداس اليومي. الثالث في المزمورات والكرازات المختصة بايام السنة واحادها واعيادها

رابعاً: جدول مختصرات السيد جرمانوس فرحات

٨٩ مختصر كتاب الكمال المسيحي = ٩٠ مختصر كتاب اباطيل العالم = ٩١ كتاب معاني تواريخ بارونيوس = ٩٢ كتاب المعاني المذكور اوسع مادةً واحسن تبويباً من سابقهِ = ٩٣ غيث الادب لمحمد السهنودي الموصلي اختصرهُ واطرح منهُ ما يمجهُ الذوق السليم = ٩٤ كتاب الحاش اي صلوات اسبوع الآلام اختصرهُ ونقح بعض عباراتهِ = ٩٥ كتاب الحاش زاد في اختصارهِ ومنهُ نسخة في كنيسة حلب المارونية = ٩٦ ليتورجية رسم الكاس اختصرها وترجم فقرها الى العربيَّة = ٩٧ طريقة تكريس القنديل اختصرها وعرب مقالاتها غير المنظومة = ٩٨ حبريات الموارنة (الرسامات) اختصرها واستخرج فقرها الى العربيَّة = ٩٩ كتاب الاسرار اي سرّ المعمودية وسرّ الزيجة الخ (١ = ١٠٠ طرائق التبريكات اي تبريك الشمع وتبريك الماء الخ (٢ = ١٠١ كتاب مزمورات الترتيل التي تُرتل في حين تلبيس الاسقف = ١٠٢ كتاب الزياحات اي زياح القربان وزياح الصليب وزياح صورة الوردية وزياح صورة الثوب (٣ = ١٠٣ الفنقيت الصومي اصلح عبارتهُ وحذف ما في بعضهِ من الزيادات = ١٠٤ كتاب الفتغامات اي فقر المزامير الداودية التي تلحن قُبيل تلاوة الانجيل في الصلوات الفرضية جمعها وزاد عليها

هذا ما امكن الاطلاع عليهِ والمعرفة بهِ من تآليف نابغة زمانهِ السيد فرحات ومصححاتهِ ومترجماتهِ ومختصراتهِ ومجموعاتهِ المفيدة من مجلد ورسالة ونبذة وبقي بعض صلوات لم اتحقق امرها. هذا ولا ارتاب في ان لهُ غيرَها مما حجبهُ قدم الزمان فاسأل

---

١) لا تخلو من اختلاف عن المطبوعة ليس هنا محل الكلام عليهِ
٢) تختلف في بعض اجزائها عن المطبوع منها
٣) بينها وبين المطبوعة شيء من الاختلاف

الذمة للمطران يوسف بن شمعون الحصروني = ٧٦ بستان الرهبان (صدَّره بمقدمة في مؤلفيه ومكانته من الاعتبار والصدق)

ثالثاً: جدول معرَّبات السيد جرمانوس فرحات

٧٧ الكتاب المقدَّس العهد القديم (١ = ٧٨ كتاب الاناجيل (عرَّبها وقسمها الى فصول تتلى في أيام السنة وآحادها واعيادها صباحاً ومساء) (٢ = ٧٩ كتاب الرسائل عربها وقسمها ايضاً الى فصول (٣ = ٨٠ كتاب القراآت حسب الطقس الماروني في مجلدين (٤ = ٨١ استعداد الكاهن وشكره (صلوات للقديس فرنسيس سالس) = ٨٢ استعداد الكاهن وتاملاته (لم يصرِّح بتأليفها او ترجمتها) = ٨٣ مجموع الحسَّايات ترجمها من الفنقيت والمتعيد والحاش في خمسة مجلدات = ٨٤ مجموع العطورة (الصلوات المنثورة) ترجمها من الفنقيت والمتعيد والصومى والحاش في خمسة مجلدات = ٨٥ كتاب القداس يحوي نافورة ماري بطرس وماري يعقوب وماري يوحنا والرسل والنافورة الرومانية استخرج بعض فقرها السريانية (٥ = ٨٦ كتاب القداس المذكور استخرجهُ الى العربيَّة خلا بعض الفقر السريانيَّة (٦ = ٨٧ كتاب خدمة القداس عرَّب بعض فقرها السريانية وزاد عليها خدمة بعض الاعياد وحذف

السريانية وكنيسة حلب المارونية لا تزال تستعمل هذه النسخة المصححة

١) انكر السيد العلَّامة يوسف الدبس هذه الترجمة (انظر مقدمتهُ على تحفة الجيل في تفسير الاناجيل) ولكن صاحب الفهرست وصاحب جامع الروايات يقولان بها صريحاً

٢ طُبعت هذه الترجمة مع كتاب القداس سنة ١٨١٦ و ١٨٣٨ و ١٨٥٥ و ١٨٧٢ بمطبعة طاميش ثم طُبعت على حدةٍ سنة ١٨٦٥ بعناية السيد طوبيا عون مطران بيروت الماروني

٣) طُبع اربع مرات بمطبعة طاميش الطبعة الثالثة سنة ١٨٥٤ والرابعة سنة ١٨٦٤ وطُبع مرتين بمطبعة حلب المارونية الاولى سنة ١٨٦٢ والثانية سنة ١٨٧٤ (المشرق ٣: ٢٥٧ و ٣٥٨)

٤) طُبع سنة ١٨٤١ بمطبعة دير قزحيا. وظنَّ السيد العلَّامة يوسف الدبس ان ترجمة القراآت صُنعت في أيام المطران جبرائيل حوشب (انظر مقدمة تحفة الجيل) والصحيح ان فرحات صنعها على ما ورد في الفهرست وجامع الروايات وحسبك انهُ في عهد المطران حوشب لم يكن مَن يستطيع القيام بهذا المشروع

٥) طبع الاستخراج مع الاصل بمطبعة قزحيا اربع مرات الطبعة الاولى سنة ١٨١٦ والثانية سنة ١٨٣٨ والثالثة سنة ١٨٥٥ والرابعة سنة ١٨٧٢ (المشرق ٣: ٥٥٧)

٦) يروى في صدر الكتاب ما حرفهُ: «رتبة القداس عربياً حسبما رتبها السعيد الذكر المطران جرمانوس فرحات اسقف حلب» على ان النَّسخ انزل بها من التصحيف كلَّ داهية

تاريخ الطائفة المارونيــة في ثلاثة اجزاء لهُ ايضاً (١ = ٥٥ الراهب المشتاق للقس يوسف الباني الحلبي = ٥٦ كتاب الكمال المسيحي في ثلاثة اجزاء ترجمتهُ (٢ = ٥٧ تفسير الرسائل في اربعة اجزاء ترجمتهُ = ٥٨ تفسير الاناجيل في خمسة مجلدات ترجمتهُ = ٥٩ العنوان العجيب في تفسير رؤيا يوحنا الحبيب ترجمتهُ (٣ = ٦٠ تفسير العهد القديم من الكتاب المقدَّس في ثمانية مجلدات ترجمتهُ (٤ = ٦١ كتاب صلوات الشحيم استخراج القس عبد المسيح لبيان = ٦٢ كتاب سذرات الشحيم استخراجهُ = ٦٣ كتاب الحسايات التي تتلى في ستار اسابيع الصوم والعجائب والشعانين والحواريين استخراجهُ = ٦٤ تأملات في جهنم تعريب ابرهيم جلوان السمراني = ٦٥ حوادث الاعتراف لخرسطفورس اليسوعي تعريبهُ (٥ = ٦٦ ميدان الرهبانية في البيعة الرومانية في جزءين تعريبهُ = ٦٧ ميزان الزمان ترجمــة يوسف بن جرجس الحلبي = ٦٨ تأملات جهنم المريعة وحماقة الخطأة الفظيعة ترجمتهُ (٦ = ٦٩ القلب المنسحق للاب يوحنا بيناموتي اليسوعي استخرجهُ الخوري عبد الله الشبابي (٧ = ٧٠ شرح التعليم المسيحي (٨ = ٧١ محاورات القديس غريغوريوس = ٧٢ كتاب اباطيــل العالم في ثلاثة اجزاء (٩ = ٧٣ تصحيح متن الكتاب المقدس عن النسخة اللاتينيَّة = ٧٤ تصحيح عبارة الاناجيل العربيَّة المطبوعة سنة ١٧٠٣ برومية (١٠ = ٧٥ كتاب علم

---

١) طبع المعلم رشيد افندي المذكور الجزءين الاولين بعبارة المؤلف سنة ١٨٩٠ بالمطبعــة الكاثوليكية ونسخة مكتبة اللويزة التي استعان بها في حواشيه هي النسخة المصححة

٢) لم يطبع من هذا التعريب سوى الجزء الثالث في سنة ١٨٦٩ بالمطبعة الكاثوليكية

٣) طُبع هذا التفسير سنة ١٨٧٠ بالمطبعة العمومية في بيروت

٤) لم ارَ من هذا الشرح الواسع سوى تفسير نبوات الانبياء في ثمانية مجلدات

٥) طُبع هذا الكتاب كما صدر من قلم معربهِ بمطبعة طاميش في عام ١٨٦٦

٦) طُبع بمطبعة الشوير سنة ١٧٦٩ (المشرق ٣ : ٣٦٢)

٧) طُبع سنة ١٨٥٣ بمطبعة نشر الايمان المقدس برومة وطُبع سنة ١٨٦٠ بمطبعــة اهدن (راجع المشرق ٤ : ٤٧٤)

٨) كذا روى صاحب جامع الروايات دون ان يذكر المؤلف والمترجم (قلنا لعلَّهُ شرح التعليم الذي عرَّبهُ الاب بطرس فروماج اليسوعي . راجع المشرق ٣ : ٧١٢ ل . ش)

٩) طُبع هذا الكتاب في رومية ثمَّ في مطبعة الآباء الفرنسيسيين في القدس (المشرق ٥ : ٧٢)

١٠) ان السيد فرحات قد صحَّح عبارة الاناجيل العربية المذكورة قبل ان يستخرجها عن

الاناجيل = ٢٩ كلندار عام ملحق بالسنكسار الغربي = ٣٠ صلوة عيد القربان الأَقدس بالسريانية (١ = ٣١ جدول كهنة حلب المارونيين = ٣٢ رسالة في تعليم الصلوة العقلية = ٣٣ طريقة تبريك الرماد يوم اثنين الصوم (٢ = ٣٤ رسوم الكمال عددها ٢٠ وهي قوانين تقتدي بها النساء المتعبّدات = ٣٥ رسوم الكمال مطوّل الكتاب المذكور اغزر مادةً واجزل فائدةً = ٣٦ رسالة الفرائض والوصايا وهي مجموع ٦٦ فريضةً او وصيةً مفروضة على الاساقفة والكهنة والشمامسة والعوامّ = ٣٧ رسومات الكمال وهي مجموع ٢٠ رسماً للنساء المنضمّات الى اخوية دخول العذراء الى الهيكل

ثانياً: جدول مصحَّحات السيد جرمانوس فرحات

٣٨ المجمع النيقاوي تعريب البطريرك اثناسيوس الدباس = ٣٩ المجمع الافسوسي تعريبهُ = ٤٠ المجمع الخلقيدوني تعريبهُ = ٤١ المجمع القسطنطيني الاوّل تعريبهُ = ٤٢ محاورة العالم والحكيم تعريبهُ = ٤٣ الدرُّ المنتخب ليوحنا فم الذهب تعريبهُ (٣ = ٤٤ المجمع التريدنتي تعريب الخوري بطرس التولوي = ٤٥ كتاب التأملات الشهريَّة تأليفهُ = ٤٦ كتاب التأملات الاسبوعية تأليفهُ = ٤٧ سيرة مار توما الكمبيسي تعريبهُ = ٤٨ تأليف القديس توما المذكور تعريبهُ = ٤٩ كتاب المنطق الكبير في جزءين تأليفهُ = ٥٠ كتاب الفلسفة في جزءين تأليفهُ = ٥١ كتاب اللاهوت في خمسة مجلدات تأليفهُ (٤ = ٥٢ منارة الأَقداس في مجلدين للبطريرك اسطفان الدويهي (٥ = ٥٣ كتاب ردّ الحجج في ثلاثة اجزاء لهُ ايضاً = ٥٤

١) هي غير صلوة القربان للقس العلّامة عبد المسيح ليان الحلبي

٢) ترجم بعضها عن الرتبة الرومانية اللاتينية واخذ البعض الآخر عن رتبة قديمة حصل عليها في دير قنوبين

٣) هذا ما رأيتهُ من الكتب التي صححها ابن فرحات من معرَّبات البطريرك اثناسيوس

٤) هذا ما وقفت عليهِ مما صححهُ ابن فرحات من تآليف استاذهِ التولوي

٥) طبعها المعلم رشيد الشرتوني كما برزت من قلم مؤلفها في سنة ١٨٩٥ بالمطبعة الكاثوليكية. امّا مقدمتها فليست للمؤلف كما استدلّ المعلم المذكور بل اخذها الناسخ عن النسخة المصححة كما يظهر بالمقابلة بين عبارتها وبين عبارة الكتاب

مطوَّل في الصرف والنحو (١ = ١٦ بحث المطالب مختصر في الصرف والنحو (٢ = ١٧ باب الإعراب عن لغة الأَعراب معجم لغوي (٣ = ١٨ الفصل المعقود في عوامل الاعراب (٤ = ١٩ مجموع حواشٍ على بحث المطالب (٥ = ٢٠ بلوغ الارب في علم الادب مطوَّل في المعاني والبيان (٦ = ٢١ بلوغ الارب مطوَّل في علم الجناس والبديع = ٢٢ السنكسار الشرقي في اخبار القديسين = ٢٣ السنكسار الغربي في مجلدين (٧ = ٢٤ التحفة السريَّة لافادة المعرّف والمعترف = ٢٥ كتاب الرد على صالح الكوثراني المتوالي = ٢٦ فصل الخطاب في صناعة الوعظ (٨ = ٢٧ سلسلة البابوات عصرًا فعصرًا = ٢٨ كلندار الكنيسة المارونية ملحق بكتاب

(٤: ٣٦١) والدليل الصريح على ذلك هو ان التاريخ المذكور في المشرق ينتهي سنة ١٧٤٢ والسيد فرحات قضى نحبهُ سنة ١٧٣٢ فتدبّر (*

١) هذا ما جاء في الفهرست وجامع الروايات وذيل نسخةٍ من المختصر (راجع المشرق ٣: ١٠٧٨) واماَّ عدم سند قائمة المكاتب الاوربيَّة لهذه الرواية فليس بعجيب لانها لا تحوي كتب المشرق كلها

٢) طُبع سنة ١٨٣٦ بالمطبعة الاميركية بمالطا وسنة ١٨٤٥ بالمطبعة الاميركية ببيروت وسنة ١٨٧٦ بمطبعة الحكومة بلبنان وسنة ١٨٦٥ و١٨٨٣ الخ في المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين وعلق عليهِ بعض الملاحظات فارس الشدياق المشهور وتولى شرحهُ المعلم بطرس البستاني والشيخ سعيد الشرتوني والخوري الفاضل نعمة الله باخوس والمعلم عبد الله البستاني (راجع المشرق ٣: ١٠٨١). وهذا يدلُّك على منزلة الكتاب الخطيرة

٣) طبعهُ الشيخ رشيد الدحداح سنة ١٨٤٩ بمطبعة باراس وسافورنين في مرسيلية

٤) طُبع في ذيل باب الاعراب

٥) راجع المشرق الاغر (٣: ١٠٧٨)

٦) انظر المشرق (٤: ٥٧٤)

٧) لا اعرف من هذا السنكسار سوى نسخة في كنيسة حلب المارونية. (قلنا وقد وجدنا منهُ نسخةً في مكتبة كنيسة الكلدان في ديار بكر. ل. ش)

٨) طُبع هذا الكتاب في مالطة سنة ١٨٤٢ وفي طاميش سنة ١٨٦٧ وفي بيروت سنة ١٨٧٣ ثم سعى بنشرهِ الشيخ سعيد الشرتوني سنة ١٨٩٦ وأَلحق بهِ نبذةً من خطبهِ ونبذة اخرى تشتمل على محاورات اسقف كمبراي العلاَّمة فينيلون المشهور (طالع المشرق ١: ١٠٩٩)

---

*) يمكن القول انهُ التاريخ عينهُ وانهُ زيد عليهِ بعض تفاصيل بعد وفاة المطران فرحات بيد الناسخ (المشرق)

العيانية الى غير ذلك من التدقيق البليغ الذي لا يُبقي مجالًا للشك او الريب

وقد قسمتُ هذه التركة العلمية الجليلة الى الابواب التابعة وألحقتها ببعض الحواشي حبًا بزيادة الايضاح والتحقيق

(تنبيهات): الاول ان المقام لا يتحمَّل اسهاب الكلام على كل كتاب بمفرده فأُرجئُ الاسهاب الى فرصة اخرى. الثاني ليعلم القارئ اني طالع معظم هذه الآثار الادبية فكل كتابٍ لم اطالعهُ ذكرتهُ على عهدة ذاكرهِ لأُخرج النفس من تبعتهِ. الثالث ان الكتب الطقسية التي ذكرتها في هذا الجدول اعتمدت في ايرادها على النسخ التي رأيتهـا في حلب وغالبها مذيَّل بقلم المؤلف رحمهُ الله تعالى

اولًا: جدول مؤلفات السيد جرمانوس فرحات

١ الديوان (١ = ٢ كتاب الابديَّة = ٣ مجموع مواعظـهِ (٢ = ٤ حدائق الادب (٣ = ٥ المثلثات الدريَّة (٤ = ٦ ديوان البـدع = ٧ ميزان الجمع = ٨ كتاب الرياضة الروحيـة = ٩ مختصر سلَّم الفضائل (٥ = ١٠ كتاب المحاورة الرهبانية (٦ = ١١ مجموع قوانين الرهبانية = ١٢ تاريخ الرهبانية المارونية (٧ = ١٣ التذكرة في القوافي = ١٤ رسـالة الفوائد في العروض = ١٥ بحث المطالب

---

١) طُبع هذا الديوان ثلاث مرات الاولى سنة ١٨٥٠ ثم سنة ١٨٦٦ و ١٨٩٤ بمطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت. وشرحهُ الخوري ارسانيوس الفاخوري والشيخ سعيد الشرتوني. واعلمني القس سبيريدون العرموني انهُ اهدى الى الشيخ المذكور نسخة خطية عليهـا بعض التعاليق. هذا ولي كلام على هذه الطبعات اضرب عنهُ الآن الى غير هذا الموضع

٢) لم ارَ مَن ذكر هذا المجموع سوى صاحب الفهرست

٣) جاء اسم هذا الكتاب في الفهرست وفي مجموع اشعار نعمـة الحلبي ولكني اصرّح بأني لم اتمكن من الوقوف عليـهِ لاطَّلع على فحواه فلعلهما يريدان كتاب بلوغ الارب في علم الادب الآتي ذكرهُ

٤) طُبعت عام ١٨٦٧ بمطبعة دير طاميش للرهبان اللبنانيين

٥) ظنّ البعض انهُ مختصر عن كتاب والصواب انهُ تأليف كما يظهر من المقدمة

٦) رأى الاديب يوسف صفير منهُ نسخة ناقصة. وسمَّاهُ تعليم الراهب لانهُ على طريقـة السوال والجواب. وعندي منهُ نسخة كاملة

٧) ليس هذا التاريخ التاريخ الذي ذكرهُ حضرة الاب الفاضل نعمة الله الكفري في المشرق

على انهُ يعلو علوًّا حسنًا وينحط انحطاطًا قبيحًا (١٠ اه عن المقدمة (على الديوان)

وامَّا منزلتهُ عند الخاصَّة من أدباء المتقدّمين والمتأخرين فعظيمة وقد بلغ من اعجابهم بعلومهِ وافتتانهم بآدابهِ ان تواصفوهُ بالاوصاف الجليلة وتناعتوهُ بالنعوت السامية : كالاوحد الامجد والاديب الاريب والبارع الفارع والمنطيق الالمعي والندب اللوذعي (٢ والأَثير الخطير والحازم المهذَّب والجهبذ الأوحد (٣ وقطب دهره وواحد عصره(٤ وامام الهداة وافصح الرواة وابلغ الكتبة وشمس الشرق وعالم الكون(٥ والدرَّة التي تتوَّجت بها هامة الامة المسيحية وتلألأ سناؤها في الآفاق العربية (٦ والحبر البحر العلامة المدقق والامام الفاضل الفهامة المحقق (٧ والمنقطع النظير بين الملة المسيحية في علم العربية (٨ الى غير ذلك من النعوت والاوصاف التي انفرد بها عن النظراء والاشباه

وشابهوهُ وماثلوهُ بارسطو في الحجى والحكمة وباياس في الذكاء والفهم وبسحبان في الفصاحة وبقُدامة في الشعر وبعماد الكاتب في الانشاء وبالتفتزاني والارجاني في الصرف والتصريف وبسبويه والزمخشري في النحو واللغة وبيوحنا فم الذهب في الوعظ والخطابة وبتوما واوغسطين في اللاهوت النظري وبديانا ومالان في اللاهوت الادبي (٩ الى غيرهم من نوابغ الزمان وفحول العلماء ومصاقع الخطباء وايمة اهل العلم ومشاهير اصحاب الادب وليس هذا بكبير في جنب نابغةٍ حاز من العلم الشأو البعيد ومن الشهرة الذكر المستفيض

الخاتمة

في تركة المترجم العلمية

هذه خاتمةٌ آتي فيها على مجموع آثار السيد جرمانوس العلمية فاسرد جدول موءلفاتهِ ومصححاتهِ فردًا فردًا سندًا الى ما ورد في الفهرست وفي جامع الروايات القديميّ العهد (١٠ والى ما وصلت اليد بعد البحث الطويل والمطالعة المملّة والمشاهدة

---

١) الموازنة (ص ٥) ٢) كذا نعمة الكاتب الحلبي
٣) كذا الخوري نيقولاوس الصائغ ٤) كذا الشيخ سعيد الشرتوني وغيرهُ
٥) كذا الخوري نيقولاوس الصائغ ٦) كذا الشيخ سعيد الشرتوني
٧) كذا الخوري نعمة الله باخوس والمعلّم عبد الله البستاني
٨) كذا المعلم بطرس البستاني ٩) كذا الخوري نيقولاوس ونعمة الحلبي
١٠) ممَّا يوءسف له ان هذين الاثرين غير كاملين في آخرهما

في اللغة ورفعة المنزلة والاصحّ ما ذهب اليهِ هؤلاء فهم اخلص قصدًا واصفى طينةً واعرف بمقام المؤلّف واسمى مقاماً في الحكم على عبارتهِ اماَّ اوَّلًا فلأَن جلَّ ما كان يتوخَّاهُ من سذاجة عبارة الكتب الدينيَّة والطقسية انَّما هو ايصال المعاني الى افهام الخاص والعام باسهل تعابير الكلام. واماَّ ثانياً فلأَن خلوَّ الكتب الدينية والطقسية من تذويق العبارة وبهرجة الأَلفاظ امرٌ ملزم لا مُناص منهُ لانهُ رحمهُ الله وضعها او جمعها او عرَّبها او اختصرها لموارنة ذلك الزمان الذين كانوا حديثي عهدٍ في كسب اللغة العربية وتحصيلها عقيب تركهم اللغة السريانية. واماَّ ثالثًا فلانَّ عبارة الكتب الدينية والطقسيَّة تقتضي ان تكون ساذجة الانشاء لان قرَّاءها مختلفو الطبقات وليست الحال معها مثل حال التآليف البيانية وما ماثلها ممَّا هو موضوع لطبقة خاصَّة من الناس بل يُقتصر فيها على الجلاء وابراز المعنى بصورة تصل الى القلب والفهم بايسر السُبُل

واماَّ شعرهُ فالخاصة من ادباء هذا العصر في الحكم عليهِ فريقان فريق ينظر الى ما في شعرهِ من المبالاة للضرورات من نحو تسكين المتحرّك ومدّ المقصور وتخفيف المشدّد وتثقيل المخفّف ويصرف النظر عمَّا في معظم قصائدهِ من جزالة اللفظ وبراعة السبك ورقَّة النظم فيغلو في خفض قدرهِ والغضّ منهُ ولا يريد ان يقبل لهُ عذرًا بل يصمُّ اذنهُ عن قولهم الشعراء امراء الكلام يقصِرون الممدود ويمدون المقصور ويقدمون ويؤخرون ويومئون ويشيرون ويختلسون ويعيرون ويستعيرون (١. وفريق ينظر الى ما في قصائدهِ من سباطة الكلام وحسن دخولهِ على الافهام مع ما فيها من بدائع التخيلات ولطائف الاستعارات حتى تتمثل لعينهِ حقيقة الشعر في بعض قصائدهِ وتأْخذهُ هزَّة الطرب عند انشادها فيحكم لهُ بعلو الكعب وارتفاع الطبقة في النظم. والقول ما قال هؤلاء فهم اصوب رأيًا وادقّ نظرًا واعرف بمذاهب الشعر

واماَّ ما في بعض شعرهِ رحمهُ الله من الانحطاط فلهُ في ذلك أُسوة بكل شاعر من فحول الشعراء اذ ما من شاعر الَّا لهُ الغثّ والسمين والجيد والرديء. كيف لا ومثَل كلام الانسان مثل مزاجهِ سلامةً واعتلالًا او مثَل ثمار الشجرة وهي لا تتساوى حجماً واكتمالًا. وهذا ابو تمام حبيب الطاءي الذي ذلَّل القوافي واتى باوابد الشعر قد وقع الاجماع

١) المزهر

الشروح الطامية بالفوائد ووفَّق بينهُ وبين الطقس الغربي (١ وقابلهُ على الطقوس الشرقية القديمة الجليلة بما لا مزيد عليهِ من التحقيق والتدقيق فهل يسوّغ بعد هذا كلهِ للدير نرسيس صائغيان (٢ ان يمثل هذا الامام الطقسيّ الشهير باحد المرسلين او باحد الكهنة الشرقيين غير العارفين بالطقوس الشرقية (٣ الى آخر ما شاءت طبيعة الاقتئات والتطاول فليحكم الحكم المنصف الخالي الغرض

والذي يؤخذ من هذه الآثار الأدبيَّة العظيمة انَّ لهذا النابغة قوة في ما يعضل من الابحاث العلمية فنظرة منهُ تفكُّ عقدها ولهُ سلطة على دقائق المعاني وتحديدها وابرازها في صورها اللائقة بها وكل موضوع يدخل للبحث فيهِ يأتي على اطرافهِ ويحيط بجميع اكنافهِ ويكشف ستر الغُموض عنهُ فيظهر المستور منهُ واذا تكلَّم في الفنون حكم فيها حكم الواضعين ولهُ ذهن في الشعريات من اشدّ الاذهان قوَّة تخيُّل واقدرها حسن ابداع وتصوُّر ولا يكثر ذلك على مَن هو مثلهُ في طهارة النفس وتوقُّد الفؤَاد (٤ والنتيجة ان ما آتاهُ الله من الحكمة كقوَّة الذهن وسعة العقل ونفوذ البصيرة هو اقصى ما أُوتيهِ الرجال المشاهير من الطبقة الاولى

واماَّ قلمهُ فسيَّال يجري في الطرس بلا تعقيد ولا ابهام ولا ايهام . واماَّ عبارتهُ فمنسجمة تجمع بين المتانة والسهولة والفصاحة والبلاغة . واماَّ انشاؤهُ فهو اقرب الى الانشاء القديم منهُ الى الانشاء العصري . والنَّاس في الحكم على عبارتهِ طائفتان طائفة تنظر الى سذاجة عبارتهِ وسهولتها في الكتب الطقسية وما يتخلَّلها من الاغلاط فتحكم في انحطاطها عن مقام مثلهِ في اللغَة العربية دون ان تعي لهُ حجةً او تقبل لهُ عذرًا وطائفة تنظر الى انسجام عبارتهِ ومتانتها مع ما فيها من التفنن في ضروب الفصاحة والبلاغة في الكتب العلمية كالصرفية والنحويَّة والبيانية فتحكم لهُ بالرسوخ

١) في هذا التوفيق كان اميل الى الطقس الشرقي منهُ الى الغربي على ما يظهر من الفريضة الـ ٢٥ والـ ٣٩ والـ ٤٧ والـ ٤٨ من مجموع فرائضهِ ووصاياهُ

٢) سترى الرَّدَّ عليهِ في مقالة مفردة

٣) راجع كلامهُ في ص ٩٥ من السنة السادسة من المشرق الانور

٤) طالع ما علَّقهُ الشيخ سعيد الشرتوني من التعاليق على ص ١٩ و ٢٢ و ٢٦ و ٢٧ و ٤٠ و ٥٢ و ١٣٠ و ٢٦٠ و ٢٦٤ و ٣١٠ و ٣١٣ و ٣١٧ الخ من الديوان

وكان لهُ ايضاً مشاركات في علوم أُخرى كالطب والكيمياء والفلكيّات والطبيعيّات والالهيّات كما يظهر بكلّ صراحة من تآليفهِ العديدة المبذولة

ولا ريب في انَّ هذا النابغة قد خدم المعارف والآداب الخدمة الجليلة التي لا ينقطع برُّها ولا ينقضي فخرها حيث اوقف نفسهُ الكبيرة على اكساب الخلق الفوائد واستنزف عرق الجبين في التأليف والتصنيف والتعريب وقضى انفاسهُ العزيزة بين الاقلام والمحابر والطروس والصحائف ونشَّط علماء زمانهِ الى التحبير والتحرير وصحَّح عبارة تآليف بعضهم الحسنة المبدإِ الجميلة المعنى وعزَّز بيوت التعليم حتى تقوَّى على بثّ العلم وانتشارهِ في عصرهِ الانور الذي راجت فيهِ بضاعة الادب في مدينة حلب. وجمع من نفائس الكتب العزيزة المنال النادرة المثال اقدمها عهدًا واجلها فائدةً واجملها خطًّا واغلاها قيمةً الى آخر ما هنالك ممَّا تحمد عائدته وتجمل فائدته ويبقى فخرهُ ويخلد ذكرهُ على وجه الدهر الى ما شاء الله الحي الباقي

وحسبك من الدليل على ذلك ان تركتهُ العلمية جليلة تناهز المئة من بين مؤلف ومعرَّب ومهذَّب وملخَّص قصير ومطوَّل جمعت علوم الاوائل والأَواخر ارتّبها في الذكر بحسب موادّها كما يلي:

اوَّلًا قد عرَّب الكتاب المقدَّس من السريانية الى العربية الفصيحة وصحَّح عبارة شروحهِ في ثمانية عشر مجلَّدًا ضخمًا تقع فيما يقرب من ثلاثة عشر الف صفحة متوسّطة ثانيًا مال الى الروحيَّات فألَّف وهذَّب الكتب الكثيرة في صناعة الوعظ والمواعظ والتأَمُّلات العقلية واللفظية في كل مطلب منها. ثالثًا عُني بالعلوم العالية فقوَّم أَوَد عبارة الكتب العديدة التي أَلَّفها معاصروهُ في الطقس والمنطق والجدَل والفلسفة واللاهوت الادبي والاعتقادي. رابعًا اقبل على التاريخ فأَلَّف التآليف الوفيرة في حوادث الكنيسة ومجامعها وقديسيها والمبتدعة الذين انشقُّوا منها. خامسًا صاغ سلسلة جميلة من الكتب المتلاحقة المتناسقة التي جمعت فأَوعت كل علوم العرب كالصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع والعروض والقوافي والشعر واللغة. سادسًا اكبَّ على النظر في الطقسيَّات الواسعة الاطراف الوفيرة المتاعب فجمع الطقس الماروني واصلح متنهُ واختصر مسهبهُ وزاد عليهِ طقوسًا اخرى وعرَّب مقالاتهِ غير المنظومة واضاف اليهِ

ومؤاساة اضطرتهُ الى معاونة الاصدقاء المستصرخين بهِ في اعمالهم الادبية العظيمة (١ ومنها غيرة على الدين وعلى خلاص النفوس ماثلت النار المتقدة (٢ ونشاط اتمّ بواسطتهِ كل اعمالهِ المفيدة ومشروعاتهِ الكبيرة وثبات على الخير والبر غالب بهِ كل الموانع والمثبطات التي تحول دونهما الى غير ذلك من الفضائل الجليلة والخلال الجميلة التي تجعلهُ في صف اكابر الرجال المشاهير

وهناك شوائب تافهة طفيفة متأتية عن مزاجهِ العصبي نضرب عن ذكرها الآن تأدبًا واحترامًا ولا غرو ان فاتهُ الكمال برمّتهِ وقصر عن تحصيل اسبابهِ كلها فالبشرية قاصرة عن الكمال ومعظم عظمها دميم وذلك تقدير العزيز الحكيم فسبحانهُ من منزّهٍ عن شوائب المعائب

٧ المؤلّف

بعد استيفاء الكلام عن سيرتهِ في الصبوة والتلمذة والشباب والرهبانية والاسقفية وعن حالتهِ الادبية كحلاهُ وازيائهِ واطوارهِ وصفاتهِ وفضائلهِ يجدر بي ان آتي على منزلتهِ العلمية بوجه الاختصار فرارًا من التطويل المملّ

معلومٌ ان السيد جرمانُس فرحات قد تلقى اللغات الايطالية واللاتينية والعربية والسريانية التي كان الطلّاب منصبّين على تحصيلها لذلك العهد والتأدُّب بآدابها وفنونها فدرس العربية لانها لغة الوطن والسريانية لانها لغة امّتهِ الطقسية واللاتينية لانها لغة العلماء والعلوم العالية. امّا اللغتين الاولين فكان عارفًا بادابهما قادرًا على التخاطب بهما والتعريب عنهما. واما اللغتين الأُخريين فقد مهر وفاق وبرّز اهل زمانهِ طرًّا في وَعيهِ أَوابدهما وشواردهما وضلاعتهِ بآدابهما وفنونهما اللغويّة والبيانية حتّى عُدَّ من ايمّتهما المشاهير على ما هو معروف عند العموم

وخلا هذه العلوم اللسانية قد برع وفاق في العلوم السامية والفنون الجميلة كالمنطق والخطابة والجدَل والفلسفة والتاريخ الخاصّ والعام والشرع الديني والمدني والطقسيّات الشرقية والغربية وعلم الكتاب العزيز القديم والحديث واللاهوت الادبي والنظري.

١) قائمة مؤلفاتهِ الآتي ذكرها

٢) ديوان الخوري (ص ٧٣)

وما توازعهُ من الشدائد الشديدة (١ ودماثة جعلتهُ ان يبدي للخلق طلاقة الوجه (٢ وحسن المعاشرة (٣ حتى البِشر للعدوّ اللدود (٤ ومنها دعة سكنت بها نفسهُ عند حركة الاميال النفسانية (٥ ووداعة ثوت في جنانهِ فاخمدت منهُ ثورة الغضب الذميم (٦ ومسالمة جعلتهُ ان يغضي على الاذى فيغفر لاعدائهِ مساوئهم وفظائعهم (٧ ومنها قناعة ابغضَت اليهِ الشراهة مجلبة البطنة ومبعثة الشهوات من رقدتها (٨ وامساك حافظ بهِ كل المحافظة على الصيامات باسرها سواء كانت مفروضة من الكنيسة او من قانون الرهبانية دون ان يخلَّ بشيء منها مدى حياتهِ (٩ وقشف ارضاهُ بنزر العيش في كل الضروريَّات كالأكل والمشرب والملبس مع يسارهِ ويسار اسرتهِ النبيلة (١٠ ومنها صلاح صيَّرهُ ان يشنأ المدح ويؤثر الخمول على الاشتهار بالرغم عن شهرتهِ التي طبقت الآفاق (١١ وورع الزمهُ بالاعمال الحسنى التي بها كمال النفس وجمالها (١٢ واخبات بليغ ينسيهِ كل خير في الدنيا اذا اقبل على الصلاة ومناجاة الخالق وتمجيدهِ وتسبيحهِ (١٣ وتقوى تأسى بها كثيرون من معاصريهِ فانعقدت على اجلالها خناصرهم (١٤ وتواضع عميق ناهض بهِ الزهو والكبر جهد المستطيع (١٥ ومنها سماحٌ افاض يديهِ بالايادي على العفاة البائسين فحكت السيل المنهمر (١٦ وكم حملهُ على انفاق المال في جنب الامور الجليلة القدر الكثيرة النفع (١٧. وشفقة جعلتهُ ان يرأف بالمرضى فيزورهم ويؤاسيهم ويفتقدهم مع ما هو عليهِ من الكرامة الاسقفية (١٨

١) الديوان (ص ٨٨ و ١٦٣ الخ)
٢) الديوان (ص ٣٥)
٣) الديوان (ص ٣٢٤)
٤) الديوان (ص ٣٥)
٥) الديوان (ص ٤٩٣)
٦) ديوان الخوري نيقولاوس (ص ٧٣)
٧) الديوان (ص ٣٢٠)
٨) الديوان (ص ١٧٦ و ٤٠٥ و ٤٩٢)
٩) شرح رسوم الكمال (رسم ٦)
١٠) ديوان نعمة الحلبي
١١) الديوان (ص ٦٨)
١٢) ديوان نعمة الحلبي
١٣) ديوان نعمة الحلبي
١٤) ديوان نعمة وديوان الخوري
١٥) الديوان (ص ٧٤ و ١٠٧ و ٢٢٠ و ٤٩٥)
١٦) مجموع الفرائض (فريضة ٣٣ و ٣٥ و ٤٥)
١٧) قائمة موقوفاتهِ ومجموع فرائضهِ وجامع الروايات
١٨) مجموع فرائضهِ (فريضة ٣٣)

الادبية الجليلة ما استتبع لهُ جميل الذكر وطيب الاحدوثة الى ما شاء الله الحيّ القيوم وهذا بعض ما عُرف بهِ من الفضائل المتقدمة الادبية

ومن فضائلهِ الصبر والعدل والعقاب والحلم والقوَّة والجودة فصبرهُ (١ صيَّرهُ ان يصبر على حسَّادهِ ومناصبيهِ بكلّ أناةٍ (٢ وان يحتمل ما انتحاهُ من الضيقات والبلايا بلا غيظٍ (٣ وما تنازع فؤادهُ من الاسى والهموم المتتابعة (٤ وان يطابق ارادتهُ في كلّ امرٍ مع ارادة الله تعالى (٥ وعدلهُ جعلهُ ان يرتّب ارادتهُ في كلّ شيءٍ (٦ وان يحبّ النظام في ايّ امرٍ (٧ ويشنأ الجور في كل أحد (٨ فقضى في الدعاوي بين المتخاصمين دون ان يخشى في الحقّ والقضاء لوماً . وعقابهُ للتأديب لا للانتقام بيد انهُ كان لا يدع ذنباً بلا عقاب في عهد رئاستهِ واسقفيَّتهِ سواءٌ كان مجترمهُ كبيرًا ام صغيرًا حتَّى انَّهُ لم يعفُ عن استاذهِ التُولوي في اخفّ الذنوب (٩ . وحلمهُ كان يحمل نفسهُ على ان تكون مطمئنة لا يحركها الغضب بسهولةٍ (١٠ ولا تضطرب عند نزول المكاره بل يجعلها ان تخلد الى السكون وتبدي الأناة والصفح عند المقدرة في الرئاسة والسيادة وفي مسئلة التولوي خير دليل على حلمهِ (١١ . وقوتهُ كانت تضبط احتدادهُ وتشدّد عزائمهُ ابّان الفشل وصغر النفس (١٢ حتى احتمل الشدائد وظفر بالموانع التي صدَّتهُ عن الاعمال الخيريَّة الخطيرة . وجودتهُ كانت تجمع صلاح السيرة الى صلاح الاعمال وكفى . وهذا آخر ما يذكر لهُ من الفضائل السياسية

بقي خلال وفضائل أُخرى منها وقارٌ لم يحركهُ ما انتابهُ من النوب الجسام

---

١) الديوان (ص ٢٢٤ و ٢٣١)
٢) الديوان (ص ٦٢ و ٨٧ و ١٧٨ و ١٩٩ و ٢٢٤ و ٢٣١ و ٢٧٢ و ٣١٦ الخ)
٣) الديوان (ص ٨٨ و ١٦٣ و ٢٢٩ و ٢٤٣ و ٣١٧)
٤) الديوان (ص ٢٥٢ و ٣٠٢)
٥) الديوان (ص ٦٤ و ١٦٣ و ٢٢٤ و ٣٢٠ و ٤٣٦ الخ)
٦) مجموع فرائضهِ (فريضة ٣٣)
٧) مجموع الفرائض والوصايا ورسوم الكمال وشرحها الخ
٨) الديوان (ص ٤٦٠) ٩) المشرق (٦ : ٧٧٦)
١٠) الديوان (ص ٤٩٤) ١١) المشرق المحلّ المذكور
١٢) جامع الروايات وتاريخ الرهبانيَّة المفرد

حياتهِ حتى فاق وسار ذكرهُ في الآفاق (١ فعُرف بالفقر الاختياري (٢ واشتهر بالطاعة القانونيَّة التي كان يحثُّ اخوانهُ عليها (٣ وسارت ريح الصبا بريح عفافهِ الساطع الذي كان يجعلهُ اشبه بالملاك منهُ بالانسان (٤ ويحذّر الناس من كل ما يشينهُ (٥ وهذا آخر ما اتَّبعهُ من المشورات الانجيلية الجليلة التي لا يتَّبعها الَّا مَن اختصهُ الله بدعوتهِ العلويَّة

امَّا صفاتهُ فعديدة منها اللطف والرحمة امَّا لطفهُ فشهير فانَّهُ كان لطيف العشرة حسن الصحبة (٦ برًّا بتبعتهِ رفيقًا بمسوّديهِ (٧ احسن اليهم بمنافع عظيمة (٨ بعد ان علم بدقائق الامور على اختلاف مخارجها. وامَّا رحمتهُ فعجيبة فانَّها كانت تلطف قلبهُ وتعطفهُ الى الرقَّة والانعطاف بما يقتضيهِ التَّفضُّل على القريب والاحسان الى البائس المعدم (٩ والمغفرة لاعدائهِ ومناوئيهِ (١٠ وهذه اخصّ صفاتهِ الجمالية المشهورة

وامَّا فضائلهُ فجليلة منها الفطنة والشهامة امَّا فطنتهُ فاعرف من ان تُعرَّف ومن ينكرها عليهِ من كونها ارشدتهُ الى سائر الفضائل الاخرى وانارت عقلهُ بالنظر الى غاية الاشياء ووسائطها واعراضها الملائمة للخلاص الابديّ كمن ينكر الشمس طالعةً او النور منبلجًا. وامَّا شهامتهُ فاشهر من ان تُذكر لانهُ ان كانت تقوم بالعزَّة والترفُّع فقد عزّز نفسهُ ايّ عزةٍ وترفَّع بها عن الخسائس والدنايا جهد المستطيع (١١ وان كانت تقوم بالحرص على مباشرة الامور العظيمة التي تستتبع الذكر الجميل فقد باشر من الامور

---

١) ديوان نعمة ابن الخوري توما الكاتب الحلبيّ ٢) الديوان (ص ٢٠٦)

٣) انظر الديوان (٣٥٦) والمثلَّثات الدرّية (ص ٥ و ٩٠) وشرح رسوم الكمال (رسم ١) ومختصر الكمال المسيحي (فصل ٤ قسم ٢)

٤) ديوان نعمة الكاتب الحلبيّ

٥) اقرأ المثلثات (ص ٧٦ و ٩١—٩٤) ومختصر الكمال (ف ٤) وفصل الخطاب (ص ٤٥—٥٧) من الطبعة الحديثة

٦) الديوان (ص ١٩٤ و ٣٢٠ و ٣٢٤) ٧) المثلثات (ص ١٣)

٨) هذه المنافع بعضها مذكور في مجموع فرائضهِ وبعضها في قائمة موقوفاتهِ وبعضها في مختصر تاريخ لبنان ٩) شرح رسوم الكمال (رسم ١٣ و ١٨)

١٠) صرَّح صاحب الترجمة بهذا في مظان عديدة من ديوانهِ انظر مثلًا ص ٦٣—٦٤ , ٣١٩

١١) الديوان (ص ٢٩ و ٢٠٥ و ٣٥٩ و ٣٧٢ و ٤٦٢ الخ)

لطيف الانف بارز الجبهة مفروق الحاجبين اسود العينين ينظر بهما عن ذكاء وثقوب رأي عبوس الوجه من طبعهِ يكلّفهُ الطلاقة لآداب المعاشرة (١ عصبيّ المزاج وهو مزاج غالب اعاظم الرجال ومشاهيرهم اسمر اللون بالنسبة الى قومهِ الذين عُرفوا بصباحة الوجه وطلاقتهِ (٢ قويّ البنية في عهد صباه (٣ حتى استفنى في البحث واستمات في حياة الذكر فذهبت قوَّتهُ بل لم تذهب ولكنَّها انحصرت في الذهن فتحوَّل فيهِ معجز القوَّة الى الفكر فصار يكتب في الاسبوع عفوًا ما لا يستطاع مع الرويَّة في الشهر حتى تكاد تآليفهُ تعجز المرءَ في مثل حياتهِ نسخًا (هذا ما علمتهُ من حلاهُ الشخصيَّة)

وهو قشف في مأكلهِ قشف في مشربهِ (٤ قنوع في ملبسهِ (٥ قنوع في كل احوالهِ المعاشية (٦ ولباسهُ في صباه الثوب المشقوق الشقتين (الفُقَيْشَتَيْن) حتى الخصر المعروف بالقنباز عند العامَّة ومن فوقهِ الجبَّة المعروفة بالمخصورة عند الحلبيّين وفي رأسهِ العمامة المعروفة بالقابوق وهو اللباس المخصوص باترابهِ من الحلبيّين لذلك العصر . ولباسهُ في عهد رهبانيَّتهِ الثوب المعروف عند الرهبان بالتفصيل وفوقهُ الإِتْبُ المعروف عندهم بالعبا او المشلح وعلى رأسهِ العراقية (العَرْقيَّة) وفوقها الزيُّ الرهباني المعروف عندهم بالاسكيم . ولباسهُ في عهد اسقفيتهِ الثوب المعروف عند الفرنجة بالسلطانة المعرَّاة من قدَّام بالعُرى المتابعة المتناسقة من فوق الى اسفل ومن فوقهِ الدثار المعروف عندهم بالبالطو الطويل الذيل وعلى رأسهِ العُراقية فالزيُّ الاسقفيّ المعروف بالاسكيم فالقلنسوة المعروفة بالطابية عند الموارنة . ولبوسهُ في كلّ اطوار حياتهِ على جانب من التأنق تجمع بين النظافة والاحتشام (هذا ما عرفتهُ من ازيائهِ الاجمالية)

ومعلومٌ ان طريقتهُ كانت الطريقة الرهبانية السامية آثرها على غيرها واتَّبعها معظم

---

١) الديوان (ص ٣٥)
٢) انظر رسمهُ المنقول عن الاصل المحفوظ في قلاية حلب المارونية
٣) جامع الروايات (ص ٦٥)
٤) شرح رسوم الكمال (رسم ٦)
٥) رسوم الكمال (رسم ٤)
٦) الديوان (ص ٣٦)

نيقولاوس الصائغ الشاعر المشهور بقصيدةٍ محبَّرة من نفيس الشعر هذا مطلعها :

أَلا إِنَّ مغنى المجد ثُلَّت دعائمُهْ   وربع سناء الفضل اعفت معالمُهْ
وقُوّض ركن الدين وانهال اسُّهُ   واقوت مبانيهِ وهُدَّت عزائمُـهْ
وعُطّل جيد الخير وانثال عقدُهُ   ووشّحن اثواب الحداد كرائمُهْ
هوى أَعلَمُ العلم الوطيد من الورى   غداةَ قضى من عالم الكون عالمُهْ

ومنهـا :

امام الهداة الحبر جرمانُس الذي   هو البدء للفضل المنيف وخاتمُهْ
امامي وذخري بل غنائي ومغنمي   غنمتُ بهِ غنمًا تجلُّ غنائمُـهْ
وان يكفر الاحسان مَن ليس شاكرًا   فاشبه بالكفران مَن هو كاتمُهْ

ومنهـا :

تغبّطـهُ الاجيال في كل فـترةٍ   وتكرمهُ في كلّ دهرٍ اكارمُـهْ
وتؤثرهُ اهـل المنـابر والحجى   وتُمدحُ في الابواب طرًّا عظائمُهْ
ويندبهُ القرطاس والصحف والنُّهى   وتنعاهُ سجّاع القريض وناظمُـهْ
ولا زال نشرُ الطيب في طيّ ذكرهِ   كمسكٍ فتيقٍ ضُمِّنَتْـهُ لطائمُهْ
ليشهـد فيهِ حاسـدٌ وهو كارهٌ   أَلا إِنَّما الصدّيق هذه خواتمُـهْ

٦ الرَّجل

تحت هذا العنوان استوفي الكلام عن حالتـهِ الادبيّة ملخَّصةً عن آثارهِ (١ وآثار معاصريهِ بيد انني التزم الايجاز في الوصف لئلَّا اخرج عن الحدّ الذي التزمتهُ في وصف اطوار حياتهِ خشية ملل القرَّاء الكرام

فالرجل حسن الجملة حسن الهيئة (٢ متناسب الاعضاء ربعة القوام كثّ اللّحية

١) اخصّهـا بالذكر الديوان ورسوم الكمال ومختصر الكمال المسيحي وشرح رسوم الكمال الخ

٢) عدّهُ الخوري نيقولاوس الصائغ في ديوانهِ (ص ٧٢) : « اجهى الورى خُلقًا وخَلْقًا اذا عدُّوا » . (قلتُ) فان لم يكن كلامهُ في مذهب المبالغة فالرجل كان بهيّ الخَلْق في عهد صباه وشبابهِ ليس الَّا

ولم يزل عاكفاً على خدمة الدين والعلم والفضيلة بالتعبُّد والتأليف والارشاد حتى ورده داء الورد فاورده ورد المنية فغربت شمس حياتهِ السعيدة عند غروب شمس اليوم العاشر (١ من تموز احد شهور سنة ١٧٣٢ ولهُ من العمر احدى وستُّون سنة وثمانية اشهر سوى عشرة ايام وهي السنة السابعة والثلاثون لرهبانيَّتهِ والخامسة والثلاثون لقسوسيَّتهِ والسابعة لاسقفيتهِ

فقضى ربُّ الرئاسة ومضى رجل السياسة وثُلَّ عرش الفضل ودُكَّ طود النبل وغاض معين البراعة وشُوِّهَ وجه اليراعة وبُدِّد شمل السماحة واختلَّ نظام الفصاحة وجفَّت حدائق الأَدب وذوت اشجار النسب وافل بدر المعارف وغربت شمس اللطائف وهمدت شُعلة النُّهى والذكاء وانطفأ سراج الولاء والوفاء وهوى عماد الوطنية وتقوَّض ركن النهضة الادبية فراحت الآداب تعول عليهِ والمعارف تندب حواليهِ والمحامد تبكيهِ ولسان العرب يرثيهِ وهذا بعض ما قيل فيهِ :

اليوم يوم نوادب العرفانِ ورثا الوفا والفضل والنبيانِ
اليوم روض العلم جفَّ غديرها فغدت عليهِ ذوابل الاغصانِ
ومكارم الاخلاق مال عمادها وا لوعتى من ذلك الميلانِ
ومحاضر الآداب اطفأ نورها ريح المنون وعاصف الحدثانِ
مرَّت حروف نعيّهِ كخناجرٍ بمسامع الفضلاء والاعيانِ

وفي اليوم الـ ١١ من الشهر الآنف الذكر أُقيم لهُ مأتم حافل احتشد فيهِ السواد الاعظم من اكليروس الطوائف الكاثوليكية وشعوبهم من الموارنة واللاتين والارمن والروم والسريان يصحبهم آباء الرهبانيات الفرنسيسية واليسوعية والكبوشية والكرملية وعلى سحنة الجميع سيماء الحداد والشجن كأَنَّ عليهم الطير فأَودعوهُ اللَّحد المهيَّأَ لهُ تحت هيكل مريم العذراء المعروف بهيكل الورديَّة في كنيسة القديس الياس القديمة بين سيول العبرات والرحمات وفتح الله لروحهِ الطاهرة ابواب جنانهِ اذ أُغلق باب الجدث على جثمانهِ

ولقد رثاهُ تلميذهُ وصديقهُ العارف ببسطة علمهِ وسعة فضلهِ الفاضل النبيه الخوري

١) لا في اليوم التاسع كما ورد في ترجماتهِ المعروفة

العهد وابطل كثيرًا من العوائد الذميمة المطروقة في تلك الازمان (ملخَّص عن فرائضه)

ثمَّ اجتهد باصلاح الكتَّاب الماروني المشهور فامر ان يتَّسع فيهِ نطاق التدريس حتى يُستطاع فيهِ تهذيب الشبيبة وتثقيفها على المنوال الحسن وان يُقسم الطلبة الى صفوف وحلقات يسهل معها تخرُّجهم في العلوم وتضلُّعهم في الآداب الحميدة. وقد ظلَّ هذا الكتَّاب زاهرًا عامرًا حتى اواسط العصر الماضي حيث مالت انوارهُ الساطعة الى الغروب فغربت شمس الآداب السريانية خاصةً عن افق حلب الشهباء

ثمَّ صرف همتهُ الى جمع مكتبةٍ يقلُّ اذ ذاك وجود مثلها في الشهباء وغيرها لِما حوتهُ من نفائس الكتب المخطوطة النادرة الوجود وجمع اليها علماء زمانهِ القادرين على صناعة التحبير كالخوري بطرس التولَوي الفيلسوف الشهير (١ والقس يوسف الباني العلَّامة الشهير والقس عبد المسيح لبيان الطقسيّ الشهير (٢ والقس عطا الله زنده الكاتب والشاعر المشهور فجاء اجتماعهم اشبه شيءٍ بدائرة علمية كان السيد جرمانُس نقطتها ورئيسها يستوري زنادهم ويختصر بعض تآليفهم ويصحّح فاسد عبارتها ولا شكَّ انَّ هذا العمل الخطير لم يسبقهُ اليهِ احد من الشرقيين في سالف العصور (ملخَّص عن جامع الروايات)

والنتيجة انهُ بذل قصارى العناية في اتيان كل ما من شأنهِ ان يعود على البشر بالخير والنفع والنجاح والفلاح في الدين والدنيا . ومع كل هذه الاعمال العظيمة والمشروعات الخطيرة كان لا يفتر عن مزاولة التأليف ومطالعة الكتب الكثيرة المتاعب باجتهاد فريد عجيب لا يتمالك معهُ المطلع من ان يحلّهُ محلَّ جهابذة العلم والفضل من الطبقة الاولى

وقد زايل الشهباء مرَّتين في عهد اسقفيَّتهِ الاولى سنة ١٧٢٧ لبعض شؤون رهبانيَّتهِ والثانية سنة ١٧٢٨ لامرٍ من امور اسقفيَّتهِ فكأنّي بهذا النابغة قد قضي عليهِ ان لا يهدأ لهُ بال ولا يقرُّ لهُ قرار بل ان يكون رحَّالةً جوَّالةً بالرغم عن اشغالهِ الكهنوتية العظيمة ومهامهِ الاسقفية الخطيرة

١) راجع ترجمتهُ في المشرق (٦ : ٧٦٩)
٢) طالع ترجمتهُ في المشرق (٥ : ٧٨٦)

السنة المارّ ذكرها فلقيهُ الجمُّ الغفير من المسيحيين والوجوه اوصف للابتهاج بهِ من الالسنة لِما عهدوهُ بهِ من الهمَّة والسياسة والدراية والفضائل والمعارف المشهورة

فاقبل السيد جرمانُس على العمل بغيرة متقدة لا تعرف الكلل وعزيمة ناهضة لا تدري ما الملل واوَّل ما فكَّر فيهِ حال الاسقف من حيث انهُ خليفة الرسل وابو الكهنة وراعي الكنيسة فهو صاحب الحلّ والعقد والسياسة الى غير ذلك من الخصائص وهو المولَّى على التبريك والتكريس والرسامة وغيرها من الامتيازات فيجب عليهِ ان يتمسَّك بالوداعة والقناعة والتواضع المقدَّس وما سواها من الفضائل وان يتجنَّب الضرب والكبرياء والمخاصمة وما شاكلها من الرذائل وقد وضع في كل ذلك الفرائض المسهبة التي جرى عليها بكلّ تدقيق حتى آخر حياتهِ السعيدة (ملخَّص عن مجموعة فرائضهِ)

ثمَّ نظر الى حال الكهنة من حيث انهم بمنزلة السبعين الذين اصطفاهم المسيح الرب ليرصدوا اعمالهم وقفًا على خير الكنيسة الجامعة فسنَّ لهم السنن العديدة في ما عليهم من الخضوع للاسقف وما يتعلَّق بهم من تدبير النفوس وخدمة سرّ التوبة وما يقيموهُ من الصلاة الجمهورية لاجل الاحياء وما يتلوهُ من السلطان في توزيع الاسرار كتعميد الاطفال وحلّ التائبين ومناولة المؤمنين ومسحة المرضى الى غير ذلك. ولكنَّهُ أثابهُ الله كان في هذه التهذيبات اميل الى سنن الرهبان القانونيين منها الى سنن الكهنة العالميين (ملخَّص عن مجموعة فرائضهِ)

ثمَّ اهتمَّ بامر الشمامسة على اختلاف طبقاتهم فعرَّفهم باهمية منزلتهم في الكنيسة وما يجب عليهم فعلهُ في جنب الاسقف والكهنة وما يظهروهُ من الحشمة في لباسهم وزيّهم وسائر افعالهم وما يقتضي ان يؤدُّوهُ من الخدم في الكنيسة المقدَّسة وما يزدانوا بهِ من الفضائل ويتنكَّبوا عنهُ من الرذائل (ملخَّص عن فرائضهِ)

ثمَّ عني بامر الشعب فألَّف القلوب على التضام والوئام بعد التقاطع والتدابر اثر حادثةٍ شهيرة (١ واشتغل في غرس العادات الحميدة وبذل اقصى مجهودهِ في تأييد الآداب وانشاء الاخويَّات والعبادات التقويَّة التي لا تزال جارية على الالسنة حتى هذا

---

١) انظر خلاصة هذه الحادثة في المشرق الاغرّ (٥ : ٧٨٨ و ٦ : ٧٧٣)

من حيث اتوا مبهوتين من فصاحتهِ وبلاغتهِ ومضاء حجتهِ في كل عظاتهِ

ولما سيم الرئيس العام القس عبد الله قرا ألي مطرانًا على بيروت احيلت النيابة الى عهدة الاب جبريل الى ان عُهد اليهِ بالرئاسة العامَّة على الرهبانية كلها ثلاث مرات (ثلاثة مجامع) متتابعة (١ من اواخر عام ١٧١٦ الى ختام عام ١٧٢٤ وذلك على رغم تجنبهِ الرئاسة وابائهِ قبولها فابتهجت الرهبانية وامَّلت في عهدهِ الخير فلم يخيب املها لما صرفهُ من الهمَّة والعناية الى ما يجرُّ لها النفع الروحي ويكفل لها النجاح المبتغى وحسبك ان الرهبانية قد عدَّتهُ من مصافّ المحسنين اليها كما ترى في تاريخها المثبت في مختصر تاريخ لبنان للشمَّاس انطونيوس العين طوريني

٥ الاسقف

اجمع الكتبة المعاصرون على ان المطران ميخائيل البلوزَوي اسقف حلب (٢ قد تنازل عن الاسقفية عن ارتياح وطواعية عند عجزهِ عن القيام بمهامها لما داهمهُ من الامراض وعوارض الشيخوخة فاجمعت اراء البطريرك والشعب على اختيار الاب جبريل الى ذلك المقام الخطير فتمادى في الامتناع والاعتذار حتى لم يجد الى الاباْة سبيلًا فاذعن لامر البطريرك يعقوب عوَّاد فرقَّاهُ الى درجة المطرانية باسم جرما نُس في ٢٩ تموز سنة ١٧٢٥ فكان ليوم سيامتهِ رنَّة ابتهاج عظيمة ردَّدتها سائر اقطار لبنان وانحاء حلب الشهباء

وحسبك من الادلَّة انَّ الآباء اليسوعيين الافاضل قد انبأوا في الرسائل البانية (Lettres édifiantes) ان الابرشية الحلبية قد ابتهجت بالسيد جرما نُس غاية الابتهاج (٣ ولا بدعَ فانَّ الحلبيين قد عدُّوا نهار رسامتهِ (النهار الكليّ البركات والخيرات) وحسبوا انباء رسامتهِ (مكاتيب البشائر بالافراح) على ما روى صاحب التاريخ الكنسي

وكان وصولهُ الى حلب مقرّ ابرشيتهِ الجديد في الـ ٨ من كانون الاول آخر شهور

١) لامرتين كما ورد في ترجمتهِ المنشورة في الديوان وفصل الخطاب وباب الاعراب
٢) ارتقى الى الاسقفية سنة ١٧٠٤ وتنازل عنها سنة ١٧٢٤ وتوفي سنة ١٧٢٥
٣) انظر مجموع الرسائل المذكورة

ابتغاء ان يتفقّد ما فيها من آثار العرب الناطقة بعظم فضلهم المنبئة باتساع حضارتهم الدالَّة على ضخامة ملكهم فرأَى منها ما رأى وحصل على بعض الكتب المخطوطة (١ وقفل في سنة ١٧١٢ عائدًا الى جبل لبنان غانمًا ظافرًا

وقد لاقى الامرَّين في تنقّلهِ من بلدةٍ الى غيرها في هذه الرحلة المستطيلة وكفاك بيّنةً على ما تحمّلهُ من المشاق والمتاعب انهُ اعتلَّ مرَّةً وادنف مرة اخرى كما ترى في ص ٢٢٦ و ٤٠٤ من الديوان

وهذا ما ابغض اليهِ العالم وجلبتهُ بالكليَّة وحبّب اليهِ حياة الوحدة فانقطع في بعض شهور سنة ١٧١٢ الى منسك (محبسة) ماري بيشاي الناسك الشهير(٢ الكائن في سفح الوادي المقدَّس واعتكف فيهِ على ما شأَت النفس من الزهد والقنوت فكان يقضي يومهُ تارةً في الصلاة وطورًا في التأليف وحينًا في مطالعة سير الآباء القديسين ويحيي هزيعًا من الليل في التأَمل في معاني آيات الكتاب المقدَّس التي كان استظهرها على ظهر قلبهِ منذ صباهُ وهو يردّد على نفسهِ قولهُ:

فان تدمن على اكلٍ وشربٍ فلا تلهج بتفسير الكلامِ
كلامُ الله لا يدنوهُ شرهٌ ومعتـدٌّ بتنميق الطعامِ

بيد انَّ مقامهُ من الرهبانية الحديثة كان يمنعهُ من قضاءِ وطرهِ المروم من الخلوة والتزهُّد والانعكاف. وعليهِ عاد الى دير ماري اليشع النبيّ نحو ختام السنة المار ذكرها مواصلًا السعي في سبيل خير الرهبانية التي اوقف على نجاحها حياتهُ كلها

وقد رحل الى موطنهِ حلب ثلاث مرَّات الاولى سنة ١٧٠٥ (٣ والثانية سنة ١٧١٣ والثالثة سنة ١٧٢٠ بدعوة من البطريرك اثناسيوس الدبَّاس ليهذّب لهُ عبارة كتاب الدرّ المنتخب ليوحنَّا فم الذهب. وكان في كل مرَّةٍ يزور وطنهُ العزيز يعظ كل يوم احد في الكنيسة المارونيَّة حيث ترى المسيحيين من كلّ الطوائف والطبقات ينسلُون زرافات ووحدانًا مزدحمين لاستماع أَوامرهِ البارعة وزواجرهِ الرادعة ثم ينثنون

---

١) راجع ص ٣٥ من جامع الروايات

٢) طالع في قدم هذه المحبسة وتجديدها ما ورد في ص ٣٦٣ من سنة المشرق الرابعة والمترجم لهُ اول قاطنيها بعد تجديدها

٣) لا تُذكر هذه الرحلة سوى في ص ٤١١ من الديوان

والانفراط فوضعهُ (١ بالاشتراك مع بعض اصحابهِ الافاضل (٢ في اواخر عام ١٦٩٧ فجاء ينطوي على خمسة عشر بابًا في مواضيع مختلفة كالطَّاعة والعفَّة والفقر والتواضع (٣ وما شاكل ذلك ممَّا يفرض على الرهبان المنقطعين الى عبادة الله وخدمتـهِ مدى العمر وهكذا وافق فيهِ عموم الرهبانيَّات الغربية وخالفها في وجوب الانفراد عن ضوضاء العالم البشري مثل كل الرهبانيَّات الشرقية

فكان هذا وجوب الانفراد مجلبة التبلبل ومدعاة الاضطراب في عموم الرهبانية الحديثة حتى حرَّك من الاب جبريل ساكن التبرُّم والسأم فاعتزل الجامعة الرهبانية قبل النذر الاحتفالي في سنة ١٧٠٠ وانحاز الى دير القديس يوسف بقرية زغرتا يعيش فيـهِ من صدقات المؤمنين ويشتغل بتعليم الصبية والقاء المواعظ في ايام الاحاد والاعياد على ما حكاهُ صاحبا تاريخ الرهبانية وجامع الروايات

وظلَّ هناك الى ان سكن ثائر الخواطر في عام ١٧٠٥ فعاد الى الرهبانيـة ونذر النذور الثلاثة العفَّة الدائمة والطاعة القانونية والفقر الاختياري ففرح بهِ اخوانهُ فرحًا عظيمًا لِما انَّهم كانوا بمثلهِ يقتدون وبعلمـهِ يفتخرون والى رأيهِ يرجعون في عويص المسائل والمشاكل

وفي سنة ١٧١١ قصد رومة العظمى للتبرُّك بزيارة ضريحي الرسولين بطرس وبولس ولحسم الخلاف الذي احتدم بين الاب جبرائيل حوَّاء والرهبـان فقضى فرض زيارتهِ ورأب متباين الصدع بعد اللتيا واللتي بمعاضدة العلَّامة السمعاني الطائر الشهرة فاصاب عند الحبر الاعظم البابا اقليميس الحادي عشر اتمَّ الأكرام. ومن ثمَّ رحل الى اسبانيا(٤

١) هذا ما يؤخذ من نسخةٍ من القانون مؤرَّخة سنة ١٧٢٥ اصونها الان في خزانة كتبي المخطوطة. ومن الغريب ان مترجمي المقنّن ومؤرخي الرهبانية لم يذكروا هذا الامر بالرغم عن اهميتهِ وجلالهِ بل لم يذكرهُ احد من الكتبة سوى صاحب تاريخ المقاطعة الكسروانية (ص ١١٧)

٢) كذا روى صاحب المقاطعة الكسروانية متابعةً لبعض مؤرخي الرهبانية غير انني لم أرَ هذا الاشتراك مصرَّحًا في نسخة القانون المذكورة فاقتضى التنبيه

٣) قد عنوا بعدئذٍ بتحسينهِ واضافوا اليهِ زيادات اقتضتها ظروف الزمان والاحوال وقد شرحهُ الطيّب الذكر المطران عبد الله قراألي في كتابهِ المعنون المصباح اللبناني

٤) انظر مادَّة (ت ل) من باب الاعراب

دير القديسة مورا باهدن فاقاموا بهِ واخذوا في انشاء رهبانيَّتهم تحت لواء القديس انطونيوس الملقَّب بالكبير وبابي الرهبان وبكوكب البريَّة

وقد لحق بهم صاحب الترجمة بعد ان مهَّد شؤونهُ في اواخر سنة ١٦٩٥ (١ فادركهم في الدير السابق الذكر وانتظم في سلكهم فرحاً مسروراً فاحتفوا بلقاهُ كل الحفاوة ولا عجب فقد كان متقدّمهم في طريقتهم ومرجعهم في كل أُمورهم على ما روى النقلة الأَثبات

فلم يلبث جبريل ان تزيَّا بالزيّ الملكيّ فابتهج لقضاء وطرهِ المشوق منـهُ غاية الابتهاج واخذ يجدُّ في تحصيل الكمال الرهباني فانقطع الى كل الرياضات التي يروّض بها طلبة الرهبانية كاعمال الاماتة وافعال التواضع والتفرُّغ للصلاة والاشغال العقليـة واليدويَّة وما ماثل هذه الفضائل التي اهلتهُ ان يرتقي الى مقام الكهنوت السـامي ويُسند اليهِ مسند الرئاسة على دير القديسة مورا في عام ١٦٩٧ على ما افاد صاحب تاريخ الرهبانية (٢

ثمَّ سألتهُ الرهبانية ان يضع لها قانونًا (٣ يكفل لها كيانها الادبي من الاخلال

وفي ١٠ تشرين الثاني سنة ١٦٩٤ البسهم البطريرك الزيّ الرهباني وسلَّم اليهم دير مرت مورا القريب من اهدن في جبَّة بشرَّاي (اه عن ص ٤ من تاريخ الرهبانيـة وص ٢٥٦ من تاريخ الموارنة للدويهي)

واماَّ صاحب تاريخ المقاطعة الكسروانية فيقول في ص ١١٧ : ان البطريرك البسهم الاسكيم بعد خروجهم من حلب بثمانية اشهر والصواب باثنين وعشرين شهرًا كما يظهر بكل وضوح من تاريخ الرهبانية ومختصر تاريخ لبنان

١) لا في سنة ١٦٩٤ كما زعم البعض ولا في سنة ١٦٩٦ كما وهم آخرون ولا في سنة ١٦٩٨ كما ورد في تنبيه فصل الخطاب المطبوع في مطبعة طاميش ولا يحتجّ بما جاء في الديوان (ص ٣٩٧) من انهُ ترهَّب سنة ١٦٩٤ لانهُ خطأ من غفلة النسَّاخ بلا شكّ

٢) اماَّ رسامتهُ فلم يذكرها سوى صاحب التاريخ المذكور واماَّ رئاستهُ فذكرها غير واحدٍ من مؤرخي الرهبانية

٣) اثبت هذا القانون الطيّب الذكر البطريرك اسطفانُس الدويهي بطلب المطران جرجس يمّين الشهير في ١٨ حزيران سنة ١٧٠٠ وثبَّتهُ الحبر الاعظم البابا اقليميس الثاني عشر بالتماس الرئيس العام القس ميخائيل اسكندر الاهدني في ٣١ اذار سنة ١٧٣٢

وانقطاعاً الى الله تعالى عن جَلَبة العالم المعمور فكان بعضهم يعيشون عيشةً عمومية فيجتمعون للصلاة والاشغال اليدويَّة والبعض الآخر يفضلون العزلة التـامَّة فيقضون الحياة منفردين في المغاور المنحوتة في الصخور الصمَّاء ولا تزال بقاياهم العهيدة في وادي قاديشا تطاول الاعوام والاجيال صابرةً على طوارق الايام وطوارئ الليال

فلمَّا شاء الله ان يجمع كلمة هؤلاء الرهبان والنسَّاك الى جامعةٍ واحدة خار جبريل الشاب ان ينهض باعباء هذا العمل الخطير فكاشف بهِ اترابهُ الصلحاء فانقاد لدعوتهِ خمسة عشر شابًّا اخلقهم بالذكر عبد الله بن ميخائيل (١ قراألي (٢ وجبرائيل بن توما (٣ الحوَّاء (٤ ويوسف ابن البتن فغادروا حلب الشهبـاء في غرَّة شباط احد شهور عام ١٦٩٤ (٥ ميمِّمين جبل لبنان المبارك عن طريق اورشليم حيث تيمَّموا بزيارة الاماكن المقدَّسة

ثمَّ استأنفوا الترحال الى ان حطُّوا عصاهُ في دير قنُّوبين مركز بطاركة الموارنة المغبوطين حيث مثلوا لدى فخر زمانهِ العـلَّامة الطيِّب الذكر البطريرك اسطفانُس الدويهي الشهير فعرضوا لهُ ما في نيَّتهم فاذن لهم في استحداث الرهبانية (٦ واعطاهم

١) ويروى: عبد الاحد ابن قراعلي على ما في مختصر تاريخ لبنان وتاريخ الرهبانية المخطوط

٢) صار مطراناً على مدينة بيروت (لا على قبرس كما زعم البعض) في ١٧ ايلول سنـة ١٧١٦ وشهد المجمع اللبناني الملتئم سنة ١٧٣٦

٣) لا جرمانوس بن توما حوَّاء كما روى الشيخ رشيد الدحداح في ص ٢٢ من مقدَّمتهِ على باب الاعراب وتابعهُ عليهِ الشيخ سعيد الشرتوني في ص ٩ من مقدمتـهِ على ديوان المطران. والأغرب ان القس الفاضل افرام الديراني بعد ان ذكر اسمـهُ جبرائيل في (ص ٣٠٣) عاد فسمَّاهُ جرمانوس (في حاشية ص ٣٠٥) من كتاب العيشة الهنية. والصحيح ما رويتهُ عن جمهور مؤرخي الرهبانية اللبنانية بالاجماع

٤) أُقيم مطراناً على جزيرة قبرس (لا على بيروت كما وهم البعض) سنة ١٧٢٣ وقضى نحبهُ سنة ١٧٥٢

٥) يروى سنة ١٦٩٣ كذا ورد في ص ٢٦٧ من تاريخ الموارنة للدويهي وص ٣٠٣ من كتاب العيشة الهنية. ويروى سنة ١٦٩٥ كذا جاء في ص ١٠٠ من مشرق السنـة السادسة. والراجح ما رويتهُ في المتن عن جامع الروايات وتاريخ الرهبانية المفرد

٦) ان الرهبان الجدد قد اقاموا مدَّة عند البطريرك في قنُّوبين طافوا في اثنائها بلاد الجبَّة وجبيل وكسروان على ما قال صاحب تاريخ الرهبانية

شطرًا من النهار امَّا مستحرًا بالصلاة في الاخويَّات التقويَّة والعبادات الدينية وامَّا قائمًا بجانب هيكل العليّ يخدم الكهنة ويساعدهم في اقامة الطرائق (الرتب) البيعية باخبات عجيب وخشوع فريد يندهش لهُ الحاضرون على اختلاف طوائفهم ومشاربهم . وهذه العادة الحميدة ما برحت مطروقةً في الشهباء الى هذه الايام

وكان الله عزَّ وجلّ يجتذب قلب الشاب الى اقتفاء آثار خطواتهِ ويسمعهُ صوتهُ العذب لاجل خدمتهِ في مصافّ عبادهِ ويدعوهُ الى اتباع المشورات الانجيلية الجليلة فاجاب في الثالثة والعشرين من سنّهِ (سنة ١٦٩٣) الى الدعوة الالهية مسرورًا ورغب عن العاجلة الى الآجلة بكلّ ارتياح وهجر كل دنيويٍّ اي الاهل والصحب والوطن والمال وخفض العيش وكل فخر زائل وآثر ان ينهج نهج الرهبانية توصلًا الى الكمال المسيحي السامي فكاشف بذلك عصابةً من صالحيّ الشبَّان الذين كانوا يرجعون اليهِ في شؤونهم ويصدرون عن رأيهِ في امورهم فوافقهُ على ما نوى خمسة عشر شابًا انتشر يوم ذاك فضل بعضهم واشتهر في آفاق البلاد السوريَّة

فانشرح صدر جبريل في توفيق مسعاه فانشد على البديهة اول اشعارهِ في نعمة التوفيق وهو ببناهُ الشائق

ما كلُّ مَن يهوى الصلاح موفَّقُ ... ما كلُّ مَن يعطى الولاء مقلَّدُ
ما كلُّ مَن نهج الطريقة منجحٌ ... ما كلُّ مَن يبغي المعارف مرشدُ
ما كلُّ من يروي العفاف مُصدَّقٌ ... ما كلُّ من طلب الزهادة يزهدُ
ما كلُّ من شاء الصعود بسلَّم الـ ... ـخيراتِ للملكوت يومًا يصعدُ
ان لم تلاحظْهُ بذلك نعمة الـ ... ـتوفيق من لدن الالهِ فيسعدُ

وامَّا والداهُ الفاضلان فلم يحولا بينهُ وبين مشيئة داعيهِ القدوسة لعلمهما بان اعظم بركة للعيال المسيحية ان يختار الله لهُ منها اولادًا ينقطعون لخدمتهِ تعالى ويزهدون في الدنيا وملاذّها

٤ الرَّاهب

ما كادت الطريقة النسكية تنتشر في المشرق حتى اخذ النسَّاك يتبطَّنون وهاد لبنان التي توفَّرت فيها اسباب الدعة والسكون اتباعًا للمشورات الانجيلية الجليلة

تلميذي جبريل فاشتار ما فيها جميعهُ . هذا ما روى الرواة الثقات والله عليهِ وكيل

٣ الشَّاب

يعلم الخبير كيف يكون الشَّاب في شرخ الشباب هدفًا لسهام الاميال الدنيويَّة التي تصرفهُ عن جهة الصواب بزخارفها حتى تبعدهُ عن الصراط القويم فيسير في مهامهِ الشهوات الموبقة حتى اذا شاء التملُّص من شباكها على رغم الموانع التي تحول دون امنيَّتهِ يعلم بضرورة الوسائط الخاصَّة الخارجة عن محور الوسائل التي يفوز بها من الديانة عفوًا

واماَّ جبريل الشاب فاحتاط لنفسهِ من الطارئ المفاجئ في ابَّان الشباب فمال الى الفضيلة منذ نعومة اظفارهِ واوسع لها من صدرهِ محلًّا رحيبًا فاحتلَّتهُ وتمكَّنت منهُ وباحت لهُ بمكنون صدرها وفتحت لهُ ابواب خزائنها حتى استنفد ما فيها وضمَّهُ الى صدرهِ الرحيب فاصبحت نفسهُ كمرآةٍ وضيَّة تنعكس عنها اشعَّة الفضائل الالهية والادبيَّة لا يشغلهُ عنها انكبابهُ على تحصيل العلوم العديدة ولا اشتغالهُ بالكتابة عند احد تجَّار الفرنجة ولا اعانتهُ لابيهِ فرحات بالمهام البيتية والمصالح التجاريَّة المتنوعة فاضحى الخلق معجبين بفضائلهِ كما كانوا معجبين بعلومهِ وآدابهِ التي قصَّر عن لحاقهِ بها رجال عصرهِ المشاهير في حين ان صاحب الترجمة لم يكن ليعجب بالمال والعلم اعجابهُ بالورع والتقى كما يدلُّك على ذلك قولهُ :

رأيت العلم في الدنيا سعيدًا ... وغيري قال دون غنًى شقيُّ
كلانا مخطئٌ فيما نراهُ ... واصدقنا بهِ رجل تقيُّ
ترينا الشمس في الآفاق نورًا ... ويحجبهُ غمامٌ فاختيُّ

فلماَّ ان بلغ جبريل السنة العشرين من عمرهِ (سنة ١٦٩٠) وهي اول الشباب ومقتبل العمر بدأ ان يستحقر الدنيا وزهوها وصفوها وغناها وعكف على الزهد والقنوت والتورُّع ومطالعة الكتب الدينيَّة فاخذ ينمو يومًا بعد يوم بالمحامد والفضائل حتى تحدث القوم بلطائف اخبارهِ الشائقة وتناقلوا انباء آثارهِ التقويَّة الرائقة فلم يزل شأنهُ عندهم في ارتفاع وقلوبهم عليهِ في اجتماع الى ان نال احدوثةً طيبةً في تقواهُ الفريدة وعلومهُ الواسعة لا يزال صداها يرنُّ في آذان البشر حتى العصر الحاضر

ومن آثار شبابهِ التقويَّة انهُ كان يدلج كل يوم الى بيت الربّ القدسيّ فيقضي فيهِ

والبديع والجناس والعروض على الشيخ يعقوب بن نعمة الله بن ابي الغيث الدبسي الطرابلسي الحلبي الماروني المشهور

وفي الثامنة عشرة (سنة ١٦٨٨) تعلّم صرف اللغات السريانية والايطالية واللّاتينية ونحوها ففاز بتحصيلها ورسخت قدمهُ اكثر ما يكون في اللغة الاولى

وفي التاسعة عشرة (سنة ١٦٧٩) اكبَّ على التبحُّر بالعلوم العالية كالمنطق والفلسفة والخطابة والطبيعيَّات والتَّاريخ الخاص والعام واللاهوت الادبي والنظري فنبغ في جميعها

وممَّا يجب ان لا يُذهل عنهُ هو ان جبريل الفتى لم يكن لهُ ولع ولا لذَّة الَّا في المطالعة والتحصيل في حلقات التخريج لانهُ كان يرى العلم كالحقّ والجهل كالاثم على حدّ قولهِ:

العلم كالحقّ موجودين من ازلٍ ... والجهل كالإثم موصوفين بالعدمِ
مَن يعدمِ العلمَ يَظلمْ عقلهُ ابدًا ... حتى تراهُ شبيهَ الحال في النَعمِ
كم من نفوس غدت لله مخلصةً ... بالعلم في صفحة القرطاس والقلمِ

فلا عجب بعد هذا ان نبغ بالعلوم و برَّز في الآداب ونال شهرةً لم ينلها غيرهُ من معاصريهِ الافاضل حتى اصبح ممَّن يُشار اليهم بالبنان

وكان استاذهُ التولوي شديد العجب بما آتى الله تلميذهُ من قوَّة الذهن وسعة العقل ونفوذ البصيرة وكان يقول مرَّات انَّ جبريل سوف يكون من افراد العلماء المبرّزين في الشرق

وامَّا استاذهُ الدبسيّ فكان يندهش ممَّا عند تلميذهِ من قوَّة الحافظة العجيبة ولا ريب في انهُ من الروايات المستفيضة انَّ في ذاكرة جبريل نسخةً مشروحة لحوادث التوراة وايَّام العرب ووقائعهم وانسابهم وامثالهم واشعارهم وكتابًا جامعًا واضحًا لاخبار الامم والممالك واقاصيص الآباء القديسين وجميع ما يتعلّق ببيعة الله الجامعة من حدوث بِدَع واجتماع مجامع الى غير ذلك من الشؤون الحريَّة بالحفظ والاستظهار

وامَّا استاذهُ الآخر الشيخ سليمان فكان قويّ الاندهال ممَّا كان عليهِ تلميذهُ من الأَدب والحذق والذكاء والرجاحة حتى انَّهُ كان يلقّبهُ بالعريف (اي كبير المكتب ورئيس الطلَبة) ويجلسهُ الى جانبهِ اعجابًا وإجلالًا. وفي ذات يوم سُئل الشيخ مَن انجب تلاميذك؟ فقال: العلم خليَّة عسلٍ فكلٌّ من تلامذتي اشتار منها شيئًا وامَّا

استبشار ودعواه يوم تنصيره (١ باسم جبريل بشير مريم العذراء تيمُّنًا وتبرُّكًا كأنَّ الله تعالى اوحى اليهما ان هذا الصبيّ الصغير سوف يكون لهُ نذيرًا وبهِ بشيرًا يرشد شعبهُ الى مهيع اليمن والامن والسلامة

ولقد استشعر هذان الوالدان التقيَّان بالمنَّة العظيمة التي اتاحها الله لهما فعنيا بتثقيفهِ اي عناية وقاما بتربيتهِ احسن قيام كأنما اعدَّاهُ وديعةً ائتمنهما الله عليها فارضعاهُ لبان التقى وافاويق العلم منذ نعومة اظفارهِ وجعلاهُ في السابعة من عمرهِ (سنة ١٦٧٧) في الكتَّاب الماروني (٢ فتعلَّم مبادئ اللغتين العربية والسريانيـة . وكان هذا الكتَّاب اوانئذٍ شهيرًا بتدريس هذه اللغة الاخيرة ونبغ فيهِ رجال كثيرون من الكتبة والعلماء الافاضل الذين لا يزال ذكرهم جاريًا على ألسن الحلبيين حتى هذا العصر الحاضر

٢ التلميذ

رأى جبريل الفتى نهضة وطنهِ الادبيَّة وما صارت اليهِ فيـهِ بضاعة الأدب من الرواج وسوق العلم من الانفاق وتسابق الشبَّان النبهاء الى تحصيلهما في ذلك العصر الثامن عشر الزاهر . فتوفَّر في مقتبل الفتوَّة واَّبان الرشاد على التخريج في فنون الآداب والمعارف فما أضلَّهُ الصواب فيما رآهُ ولا خانهُ الجدّ الصاعد فيما صار اليهِ من التحصيل حتى اصبح من الطلبة النابغين المبرّزين

ففي الثانية عشرة من سنهِ (سنة ١٦٨٢) درس مبادئ اللغتين الايطاليـة واللاتينية (٣ على الفيلسوف العلَّامة الخوري بطرس بن بطرس التولوي الشهير

وفي الرابعة عشرة (سنة ١٦٨٤) اشتغل في صرف اللغة العربية ونحوها على امام علماء حلب المسلمـين الشيخ سليمان المعروف بالنحوي الشهـير (٤ فاصاب بين اترابهِ السهم الفائز

وفي السادسة عشرة (سنة ١٦٨٦) اقبل على تحصيل علوم العرب كالمعاني والبيان

١) في الـ ٢٦ من شهر تشرين الثاني ٢) سترى كلامًا وافيًا عن هذا الكتاب في نبذة اخرى ٣) لم ارَ مَن ذكر ان صاحب الترجمة كان عارفًا باللَّاتينية ولكن الآثار الباقية تنبئ بذلك صريحًا ٤) في وهم البعض ان ابن فرحات اشتغل ايضًا في علم المعاني والبيان والبديع والعروض على الشيخ سليمان الآنف الذكر والصحيح ما نقلتهُ في المتن عن اصدق الرواة الأثبات

متحرّيًا فيها الاكتفاء بذكر المآثر المهمّة والخدم الجمّة التي آتاها هذا الجهبذ الطائر الشهرة في جنب الدين والعلم والفضيلة والانسانيَّة فاقول وعلى الله التكلان

١ الصبيّ

هو فيض المزنة الصَّيبة وفرع الارومة الطيّبة رحلة بلغاء عصره وقدوة فضلاء مصره شهيد العلم والادب وفريد العجم والعرب الحبر البحر العلّامة والامام الكبير الفهّامة انسان عين الفضل والكمال ومجمع اشعَّة الحكمة بل قطب دائرة العلوم على الاجمال وخطيب الشرق الذي رنَّ في الآفاق صدى خطابهِ وامامهُ الذي انبثقت انوار اليقين من سماءِ محرابهِ واستاذ علومهِ الذي ما فتئت الحكمة تتدفّق بين فؤادهِ ولسانهِ وتطلع شموس البلاغة من بين خاطرهِ وبيانهِ وتجري مناهل العرفان بين اقلامهِ وبنانهِ جبريل بن فرحات مطر ابن شاهين المشروقي ابن رعد الحصروني الحلبي الماروني الشهير ويُنمى نسبهُ الى الاسر المارونيَّة الشهيرة كاسرة السماعنة واسرة عوّاد واسرة مسعد واسرة الشدياق ولله درّ الكاتب النحرير والشاعر المجيد بشارة افندي الشدياق الذي جمع هذه الفروع في تهنئة المثلَّث الرحمة البطريرك يوحنّا الحاج بقولهِ (١ :

بنوك من جذمك المشهور يجمعنا ال   شدياق مسعد والعوّادُ والمطرُ

وكان مولد هذا النابغة في محلّة الصليبة (٢ من مدينة حلب الشهباء في العشرين من تشرين الآخر (٣ احد شهور عام ١٦٧٠ للميلاد فاستبشر بهِ والداهُ الفاضلان ايَّ

الروايات في اخبار جبريل فرحات (انظر المشرق ٣ : ١٠٧٨). خامسًا : تاريخ كنائسي مخطوط (راجع المشرق ٥ : ٧٨٧). سادسًا : ثلاثة نُسخ من تاريخ الرهبانية المارونية الاولى خطيَّة منفردة والثانية منشورة في تاريخ الموارنة للدويهي والثالثة مثبتة في مختصر تاريخ لبنان لانطونيوس العين طوريني (طالع المشرق ٤ : ٧٦٩)

١) راجع ص ٥٩ من القلادة العسجديَّة

٢) كذا قال صاحب الترجمة في مادَّة (ص ل ب) من معجمهِ وكانت هذه المحلّة قبل مئتي سنة تدعى محلّة الجديدة بالتصغير على ما في بعض المخطوطات ومعاملات الحكومة السنية

٣) جاء في جامع الروايات ان مولد جبريل كان في الحادي عشر من الشهر السابق الذكر

المستطرفات

في

حياة السيد جرمانوس فرحات

توطئة

ما كدت اعلم بهذا نابغـة القرن الثامن عشر حتى أُولعت بجمع اخباره وآثاره فجمعتها وأنا مخترق البوادي لئلا تضحي اثرًا بعد عين. ولمَّا رأيت السواد من القوم يتوق الى الوقوف على سيرتهِ اللطيفة حركني عندئذٍ حبُّ الوطن العزيز واعلاء منار الفضـل الى تحقيق امنيَّتهم فصرفت الهمَّة القاصرة الى تسطير ما جمعتُهُ من ترجمة حالهِ على قلَّة ابتذالها (١ وصدَّرتها بمقدَّمة في احوال موارنة حلب الشهباء وختمتها بخاتمـةٍ في سيَر اساقفتها الفضلاء مستندًا في كلّ ذلك الى بعض الآثار الحرّيَّة بالاعتبار. واعلنت امر هذا الكتاب البالغ نحو مئتين وخمسين صفحة متوسطة في السنة السادسة والتسعين من العصر المنقضي في جريدة المصباح الوضّاح عسى المطلعـين ان يتحفوني بما لديهم من الروايات التي لم يتيسَّر لي الوقوف عليها فما كنت في ذلك الاعلان الَّا كنافخٍ في رماد ويا لله

بيد انَّهُ لمَّا كان في خاتمة الكتاب ما لا يستطاع نشرهُ في هذه الأيَّام والاصحاب يتقاضوني ابرازهُ الى عالم المطبوعات رأيت ان اتحفهم الآن بهذه الترجمة المختصرة (٢

---

١) اوَّل من ترجم السيّد جرمانوس فرحات فيما اعلم هو الشيخ رشيد الدحداح في احكام باب الاعراب وعنهُ اخذ طابع كتاب فصل الخطاب في مطبعة طامِيش وعنـهُ اخذ المعلم بطرس البستاني في دائرة المعارف وعنهُ اخذ الشيخ سعيد الشرتوني في ديوان صاحب الترجمة وكلهم اخذوا عن ترجمة جمعها احد كهنة حلب اجابةً لطلب الشيخ رشيد الآنف الذكر والنسخة الاصليَّة قد وقعت اليَّ في هذه الايَّام الاخيرة بيد ان هذه الترجمات مختصرة لا تفي بالمرام

٢) اعتمدتُ في هذه الترجمة على كتب عديدة اخصُّ منها بالذكر: اولًا بعض تآليف صاحب الترجمة. ثانيًا: فهرست مؤلفاتهِ. ثالثًا: بعض سجلَّات الاسقفيـة المارونيَّة بحلب. رابعًا: جامع

تقدمة الترجمة

لناظم قلائد النبل والجلال وجامع شوارد الفضل والكمال

السيّد السَّنَد والحبر المعتمد

المطران يوسف دياب

رئيس اساقفة حلب السامي الاحترام

مولاي

طالما اشدت لخلفك بذكر سلفك شهيد العلم والادب وفريد العجم والعرب العالم العلَّامة المعروف والفيلسوف الفهَّامة الموصوف السيّد جرمانوس فرحات تعمَّدهُ الله بالرضوان والرحمات فكان ذلك مُنَشِّطًا جديدًا الى احياء تذكارهِ واذاعة آثارهِ ونشر مناقبهِ ومآثرهِ وتمثيل محامدهِ ومفاخرهِ وليس هذا بعظيم على امامٍ عُني بنشر العلوم والآداب بين البشر بل ليس ذلك بكبير في جنب رجل الدين والدنيا في العصر الثامن عشر

فلا غرو ان افتتحتُ الترجمة باسمك المعظَّم الشريف ونشرتها تحت ظلّك الوارف المنيف للذكر والفخر على وجه الدهر

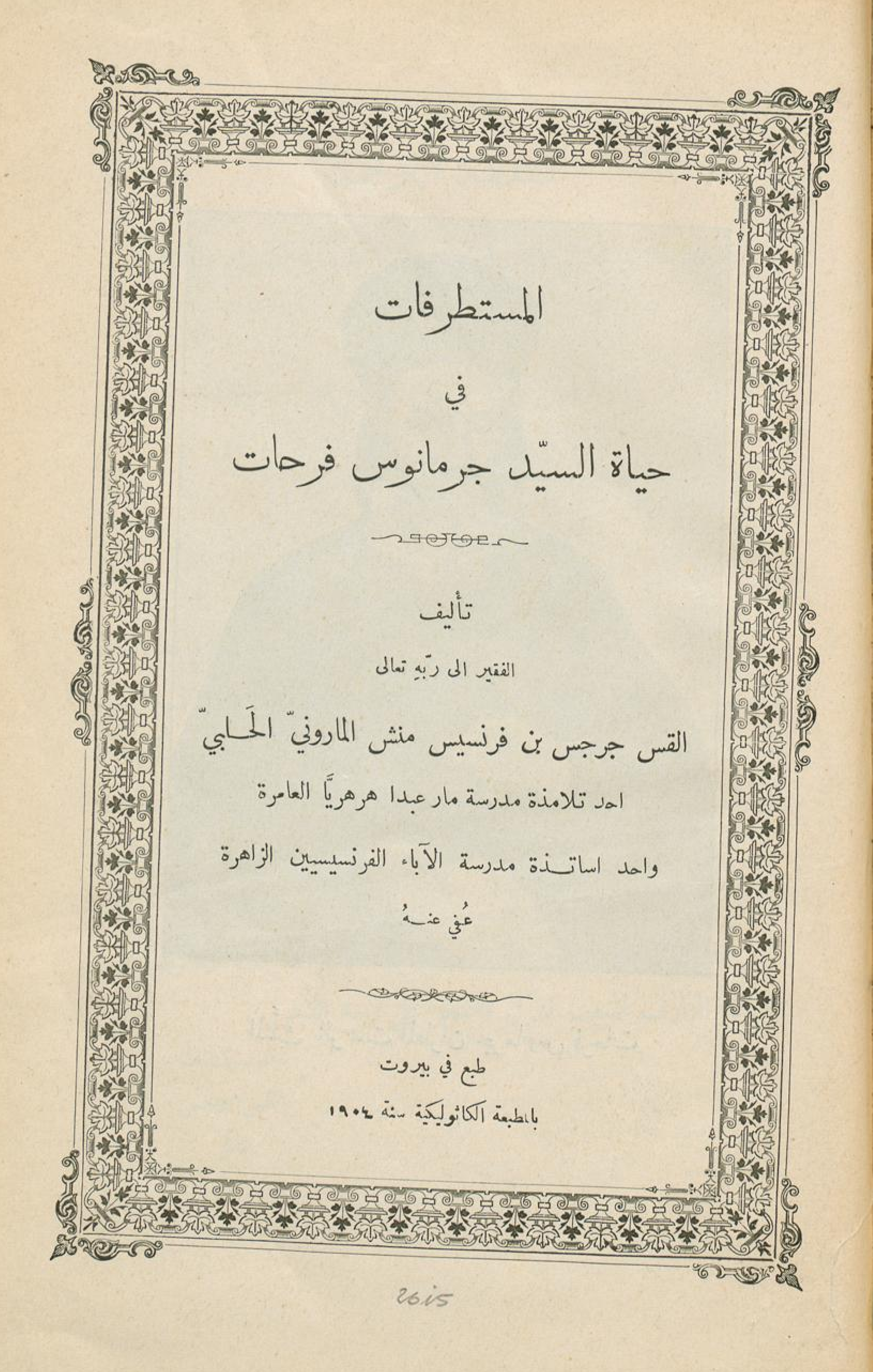
ولد سيادتك

القس جرجس

منش



المثلّث الرحمات المطران جرمانوس فرحات



المستطرفات

في

حياة السيّد جرمانوس فرحات

تأليف

الفقير الى ربّهِ تعالى

القس جرجس بن فرنسيس منش المارونيّ الحَلبيّ

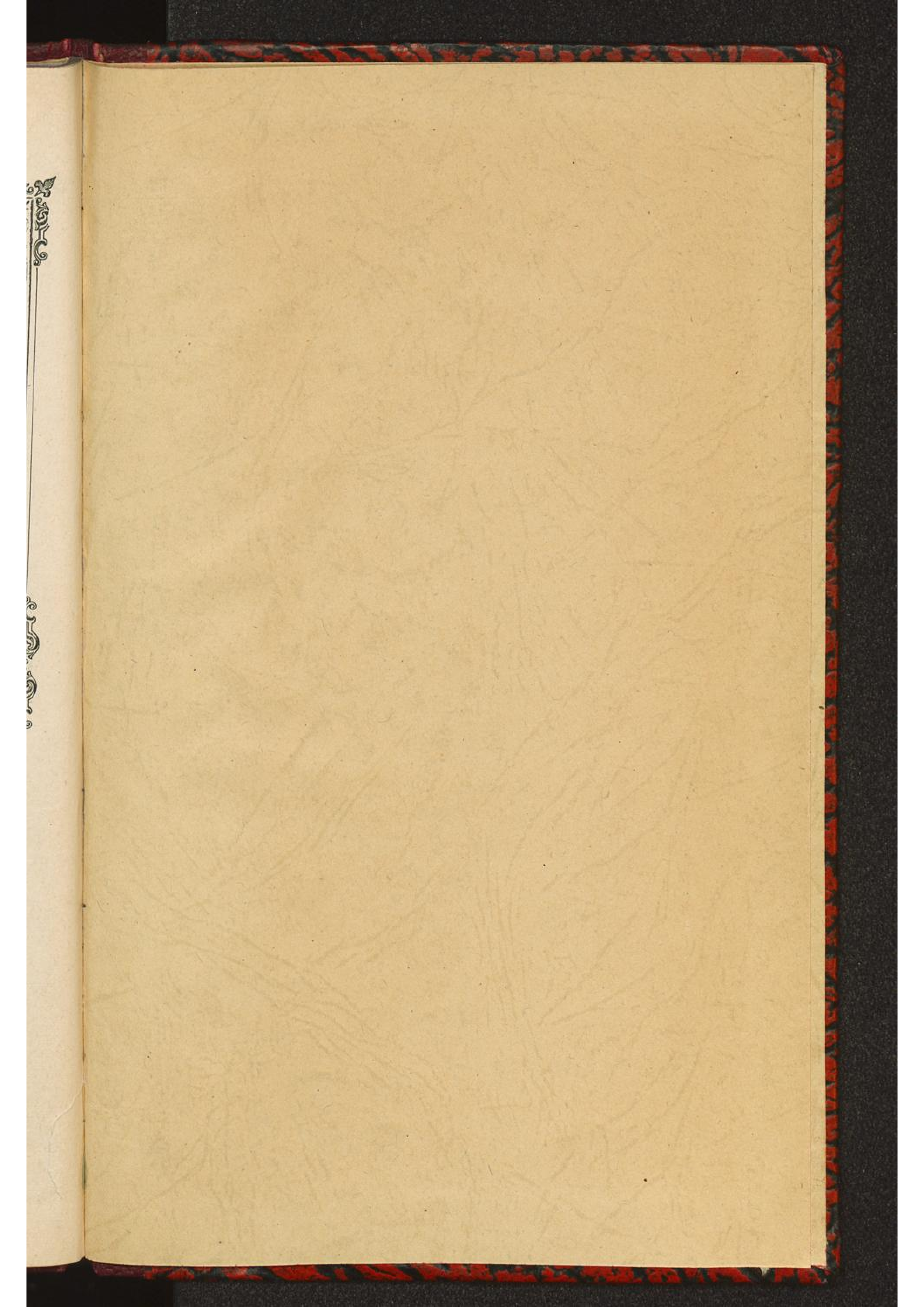
احد تلامذة مدرسة مار عبدا هرهريّا العامرة

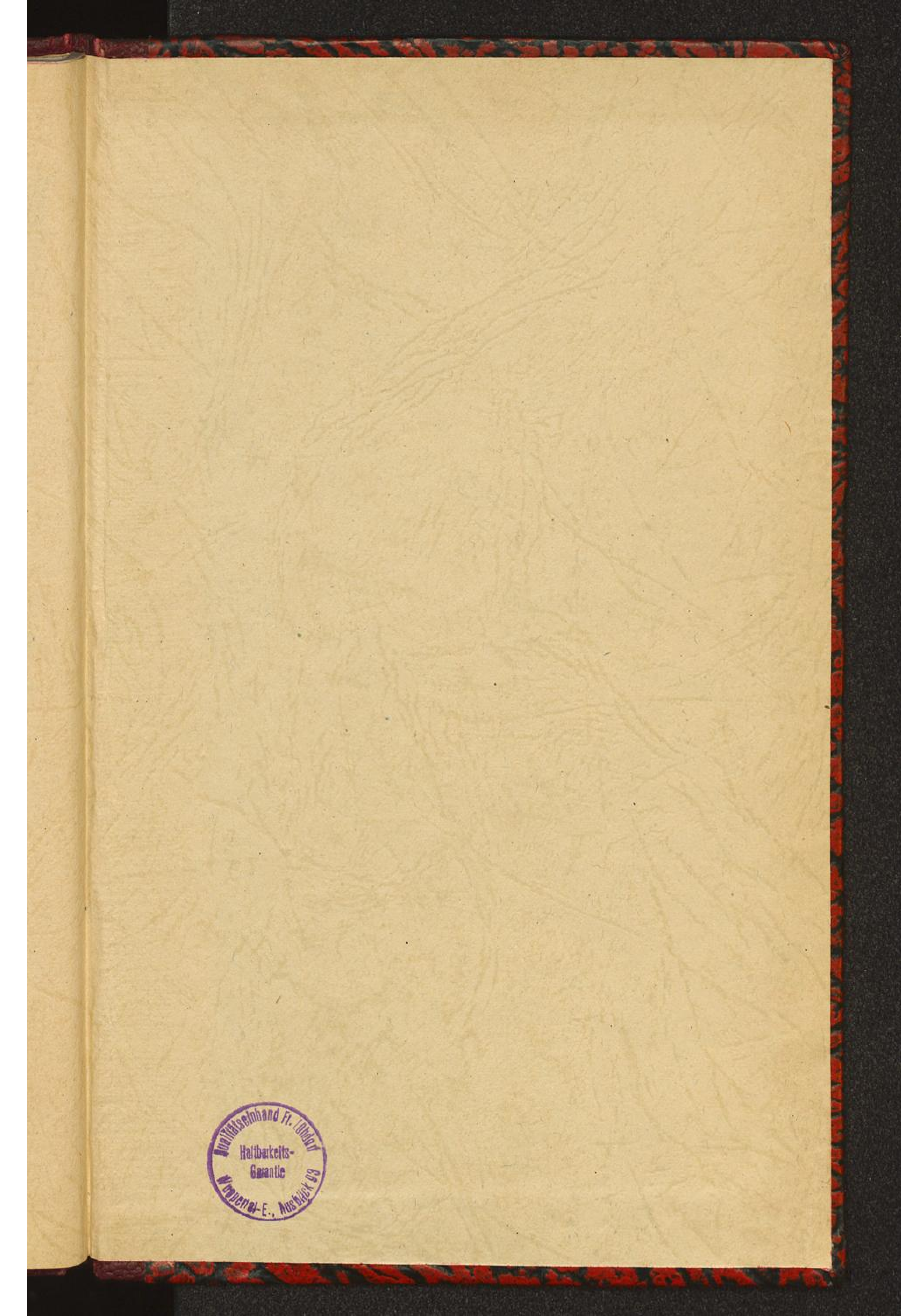
واحد اساتذة مدرسة الآباء الفرنسيسيين الزاهرة

عُفي عنهُ

طبع في بيروت

بالمطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٠٤




Haltbarkeits-
Garantie

